المشرق

اولياء الله في لبنان

نظرة تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

لمَّا صنَّف حضرة الاب هنري لامنس كتابهُ المعنون بتسريح الابصار في ما يحتويهِ لبنان من الآثار كان معوَّلًا على وضع فصلٍ في تاريخ القديسين الذين يكرمهم اللبنانيون في كنائسهم ويتعبَّدون لهم ويحجُّون الى مزاراتهم وينذرون لهم في بعض حاجاتهم الحائصة ويلتمسون بشفاعاتهم النجاة من بعض البلايا والاسقام ويقيمون لذكرهم اعيادًا ومواسم في أيام معلومة. الَّا انَّ الاشغال لم تسمح لهُ بتحرير تلك المقالة فرحل الى مصر وتوَّجه فكرهُ الى غير ذلك من التآليف التي لا يزال يخدم بها الآداب الشرقيَّة

على انَّ كثيرين من القرَّاء ألحُّوا علينا غير مرَّة بان نفيدهم شيئًا عن اولئك الابرار الذين يتردَّد ذكرهم على السنتهم لشيوع عبادتهم بينهم وهم لم يكادوا يعرفون من تاريخهم الَّا القليل ممَّا علقت بهِ اذهانهم سواء تلقَّوا ذلك من اجدادهم باسانيد متواصلة ام سمعوهُ من قراءة بعض المجاميع الحاوية لاخبار القديسين التي يدعونها بالسنكسارات وهم لا يعلمون شيئًا من صحَّتها واصل الموارد التي نُقلت عنها

فسدًّا لهذه الثلمة جمعنا اسماء الاولياء الذين شُيِّدت على اسمهم بعض الكنائس في انحاء لبنان والجهات المجاورة لهُ او تُنشد لتذكارهم الاناشيد العامِّيَّة او يُستشفع بهم في بعض الآفات كالطاعون وارجاع العيون والامراض المختلفة فسردنا اسماءهم وبحثنا عن آثارهم واخبارهم لتدوينها في مقالة افردناها اليوم لهذه الغاية

وهذه الطريقة التي نهجناها في تسطير مقالتنا، انّنا نورد على ترتيب حروف المعجم اسماء القديسين الذين رأينا لهم ذكرًا في لبنان او في جواره فنثبت لكل واحد منهم خلاصة اعماله مع بيان ما يختصّ بذكره ومظانّ تاريخه ليرجع اليها القرّاء ان ارادوا زيادةً على ما نرويه ملخّصاً

هذا ونحن نشكر سلفاً لكلّ من يأتينا ببعض افادات عن القديسين المكرّمين في الامكنة البعيدة عنّا او يستدرك شيئاً ممّا يكون فرط منّا سهواً في منقولاتنا

﴿ إدنا ﴾ يُكرم هذا القديس في مقاطعة الفتوح حيث تشيّد دير على اسمه للرهبانيّة الانطونيّة. وعيده واقع في ١٢ تشرين الاوّل فيزور الناس كنيسته في ذلك اليوم وهناك صورته رسمها المصوّر الشهير دارد افندي الترم عن صورة قديمة وكذلك يُكرَم في شبطين وحدشيت والزاوية. اما اسم القديس قريانى « أُوفُل » معناهُ الاذن لأنّ اهل لبنان يلتجئون اليه لشفاء وجع الآذان. واسمهُ الصحيح طراقوس (Tarachus) وهو رومانيّ الاصل. ولدهُ نحو السنة ٢٤٠ للمسيح. انتظم في سلك الجنديّة وكان في فرقة قدمت بلاد قيليقية. فلمّا ابرز الامبراطوران ديوقلطيانوس ومكسيميانوس امرهما في امتحان النصارى وقهرهم على جحود دينهم كان طراقوس احد الضبّاط الذين ابوا الخضوع لهذا الحكم الجائر مع رفيقين آخرين اسمهما پروبس واندرونيكوس فاستنطقهم الحاكم نومريان مرارًا فاعلنوا بايمانهم في مدينة پيسيديا بوليس ثم في طرسوس ثم في عين زربة فقاسوا من العذابات الوانًا كالدخان والسياط والنار وقطع الاعضاء. منها قطع الشفاه والآذان ولذلك يلتجئ اللبنانيّون الى القديس طراكوس في مرض الآذان. وكان آخر جهاد القديسين في مدينة المصّيصة حيث ألقوا فريسة للسباع في الالعاب العموميّة الّا ان الحيوانات لم تمسّهم بأذى فامر الوالي بان تُقطع رؤوسهم فقُطعت. وقد كتب اهل عين زربة خبر استشهادهم مطوّلًا تجدهُ باليونانيّة في اعمال القدّيسين للآباء البولنديين (ج ٥٣ ص ٥٦٠—٥٧٤) اطلب ايضاً مكتبة القديسين اللاتينيّة لهم (Bibl. Hagiog. latina, BHL p. 1155) واخبارهم نُشرت في كتاب مروج الاخبار في ١١ تشرين الاوّل

﴿ الاربعون شهيدًا ﴾ هم شهداء سبسطيّة (سيواس) من اعمال ارمينية

كانوا جنودًا في جيش لوقينيوس قيصر فلمَّا اغتصبهم الحاكم ليكفروا بدينهم ويعبدوا الاصنام فضَّلوا الموت في سبيل الله وعُرضوا على بُحيرة مجلَّدة في ليلة قارصة البرد فماتوا شهداء نحو سنة ٣٢٠ للمسيح في اليوم التاسع من آذار وكل الكنائس الشرقيَّة تحتفل بعيدهم في ذلك اليوم امَّا الكنيسة اللاتينيَّة فتعيِّد لهم في ١٠ آذار. وفي لبنان وبلاد سوريَّة عدَّة كنائس مشيَّدة على اسمهم نخصّ منها بالذكر كنيسة الاربعين في بيروت التي كانت قرب كنيسة مار جرجس الحديثة وترى الى يومنا بعض اخربتها. اطلب اعمال القديسين البولنديين (ج ٨ ص ١٢—٢٩) ومكتبة القديسين اللاتينيَّة BHL) (1092 ومكتبة القديسين الشرقيَّة لحضرة الاب البولندي پيترس : P Peeters) (BHO, 156. وقد اثبتنا في المشرق (٥ : ٢٥٧) ميمرًا في مدح هؤلاء الشهداء لابي الحلم ايليَّا الثالث ابن الحدّيثي

﴿ ارسانيوس ﴾ هذا احد القدّيسين الذين يبالغ في اكرامهم رهبان لبنان خصوصًا. لهُ مذابح على اسمهِ في كنائسهم وذكرهُ شائع في انحاء الجبل يتسمَّى باسمهِ كثيرون. هو ارسانيوس الروماني المولد والمنشأ وُلد في اواسط القرن الرابع وتضلَّع بالعلوم والآداب حتى اتخذهُ الملك ثاودوسيوس الكبير كمعلِّم ومهذِّب لولديهِ اركاديوس واونوريوس فعُني بتثقيفهما مدَّةً ثم اعتزل عن العالم سنة ٣٩٤ وسار الى برِّيَّة الاسقيط وعاش بين سيَّاح الصعيد عيشة ملائكية نيِّفًا وخمسين سنة قضاها بكلّ الفضائل الرهبانية حتى نمَا ذكرهُ الى اقاصي العالم الروماني وقصدهُ وجوه المملكة ليتبرَّكوا بهِ وهو لم يزدد الَّا نفورًا من جاه الدنيا واباطيلها. كانت وفاتهُ في مكان نسكهِ نحو السنة ٤٥٥ بشيخوخة صالحة. تجد اعمالهُ في تراجم الآباء التي طبعها مين (Migne. PP. LL. LXXIII, 762-794) ثم في اعمال القديسين البولنديين في تاريخ ١٩ تموز (ج ٣١ ص ٦٠٥—٦١٦) وكذلك في مكتبة القديسين اللاتينية (BHL, p. 115) اطلبهما ايضًا في مروج الاخبار في التاريخ عينهِ

﴿ أسيا الشهيد ﴾ هذا الاسم سرياني الاصل « أَصِيمَا » معناهُ الطيب ذكرهُ شائعٌ في عدَّة امكنة من لبنان وبعض مدن سوريَّة. واسمهُ هذا لقبٌ وكان يُسمَّى بنطليمون ويكرمهُ الروم الكاثوليك والارثدكس وهم يدعونهُ بَنْدليمون وكان مولدهُ في نيقوميدية من اعمال بيثينية وتخرَّج على أدباء عصرهِ وبرع في الطبّ ثم

اجتمع بشيخ فاضل اسمهُ ارملاوس دعاهُ الى النصرانية فلبّى دعوتهُ وصار يشفي من المرضى بقوّة ايمانهِ من لم يستطع بأدريته فافرغ عليهِ مكسيميانوس سجال غضبهِ رجاء ان يعود الى عبادة الاوثان فلم يثنِ عزمهُ فأمر آخرًا بقطع رأسهِ مع ارملاوس الشيخ الذي هداهُ الى الايمان. وقد تمّ استشهادهُ سنة ٣٠٥ في ٢٧ تموز وفيهِ يكرمهُ الشرقيّون والغربيّون معًا. وقد ذكرهُ ربّان صليبا اليعقوبي في كلندارهِ في ١٥ آب و ١ تشرين الاوّل (P. P. Peeters: *Martyrologe de Rabban Sliba*. 139, 158).

اطلب ايضًا مكتبة القدّيسين اللاتينيّة (BHL. 929)

﴿ اسيا الحلبي ﴾ انَّ الكنائس الشرقيّة تعرف سيّاً للقديس المذكور يحطون مقامهُ في جهات حلب ويدعونهُ اسيا الحلبي. جاء في السنكسار الماروني انهُ كان من جنس شريف واشتهر بعجائبهِ في أيّام تاردوسيوس الكبير وكان تركّب اوّلًا في طور سينا ومارس هناك اسمى الفضائل ثمّ قدم الى انطاكية وبنى في جوارها ديرًا اجتمع فيهِ عدد غفير من الرهبان وكان القديس اسيا يهتمّ بتدبيرهم ومنحهُ الله موهبة المعجزات حتى انهُ عُرف باسيا العجائبي. توفّي في اواخر القرن الرابع للمسيح وعيدهُ في كلندار السريان في ١٥ تشرين الاوّل وفي كلندار الموارنة في ٥ تشرين الثاني

﴿ اشعيا او شعيا ﴾ هو القديس الذي على اسمهِ أُنشئت الرهبانيّة الانطونيّة جاء في ترجمة حياتهِ في احد مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة ما نلخّصهُ قال: كان ابوهُ والياً على حلب في أيّام قسطنطين وهو يسمّى سوماخوس وكانت قرينتهُ مريم عقيمًا فلم يزالا يستحرّان بالصلاة حتى ازال الله عقمها فولدت ابنًا دُعي اشعيا فربّاهُ احسن تربية حتى اذا بلغ سنّ الزواج ارادا ان يقرناهُ بابنة شريفة تُدعى هنّة لكنّهُ اتّفق مع قرينتهِ ان يعيشا بالعفاف. وبعد ثلاث سنين بلغ اشعيا خبرُ مسير اوجين تلميذ القديس انطونيوس الكبير الذي جاء من الصعيد لينشر في الشرق الطريقة الرهبانيّة فرغب ان يزهد بالدنيا وانتقل برضى امرأتهِ الى حيث كان اوجين مقيمًا في بلاد الجزيرة فتركّب في جبل ايزلا واهتمّ بدعوة سكّانهِ الوثنيين الى الايمان مع القديس اوجين وعاش في الرهبانيّة ٧٢ سنة قضاها بالصوم والصلاة وكافّة اعمال البرّ ولم يخرج من مسكنهِ الّا لزيارة القدس الشريف وليحضر في دير الراهبات وفاة قرينتهِ هنّة بالهام من الله. وكانت وفاتهُ هو في اواخر القرن الرابع او اوائل الخامس وعمرهُ ٩١ سنة.

وعيدهُ في الكنيسة المارونيَّة والسريانيَّة في ١٥ تشرين الاوَّل وهو يوم وفاتهِ

﴿ اغناطيوس النورانيّ ﴾ هو تلميذ الرسل الحواريين والخليفة الثاني لبطرس الرسول على كرسي انطاكية بعد ايئوديوس والملقَّب بتاوفورس اي حامل الله . دبَّر كنيستهُ ثماني وثلاثين سنة من ٧٩ بعد المسيح الى سنة ١١٧ فنمت بهمَّتهِ نموًّا عظيماً . فلمَّا ضبط طرايانوس قيصر زمام المملكة الرومانيَّة بلغهُ خبر التديس فاستدعاهُ الى رومية حيث امر بان يُلقى للسباع فمات فرحاً مسروراً في سبيل ايمانهِ . ولهُ الرسائل العجيبة التي وجَّهها الى عدَّة كنائس كازمير ورومية يعتبرهـا العلماء من اخطر الآثار النصرانيَّة واقدمها . والكنائس الشرقيَّة كلها تكرم هـذا التديس . امَّا يوم عيده فيختلف عندهم فالموارنة والروم يذكرونهُ في ٢٠ كانون الاوَّل والسريان في ١٦ تشرين الثاني و٢٩ كانون الثاني . امَّا الكنيسة اللاتينية فخصَّت لعيدهِ اليوم الاوَّل من شباط وترجمتهُ في مروج الاخبار في تاريخ هذا اليوم . اطلب اعمال البولنديين (٤ : ١٣—٣٧) ومكتبتي القديسين اللاتينية (BHL, 630) والشرقية (BHO, 102)

﴿ افرام السرياني ﴾ هو فخر الكنيسة السريانية ونورها الساطع . ولد في اواخر القرن الثالث او اوائل الرابع للمسيح في نصيبين . فلمَّا ترعرع تتلمذ لاسقف تلك المدينة القديس يعقوب الشهير فتخرَّج تحت قيادتهِ في الطرق النسكية والعلوم الدينية والادبية وصار بعد قليل كشبان الاسقف يسعفهُ في كل اعمالهِ الرسولية وهو شمَّاسهُ فقط . ثم اوى الى البريَّة بعد وفاة ذلك الراعي الصالح وفتح الفرس لنصيبين فانقطع الى كل اعمال النسَّاك من صوم رصلاة وتقشفات وملازمة الدروس الروحيَّة الى ان دعاهُ الله الى نشر الدين في مدينة الرها التي كانت فشت فيها البدع والشرور فبدَّد ظلام المرطقات وارشد الشعب الى الصلاح وألَّف تلك المصنَّفات العجيبة النثريَّة والشعريَّة التي لا تزال اضواً مصباح للكنائس الشرقيَّة يستضيئون بها ويهتدون بتعاليمها وقد فُقد منها كثير الَّا انَّ الباقي وهو لا يقلّ عن بضعة عشرة مجلَّدات ضخمة يشهد لصاحبها بالفضل العميم وقد جارى فيها اعظم ملافنة الكنيستين اللاتينيَّة واليونانيَّة . توفي القديس افرام سنة ٣٧٨ للميلاد وقيل غير ذلك . واسمهُ لا يزال حيًّا في كل كنائس الشرق ولهُ في لبنان ديرٌ على اسمهِ يخصُّ السريان الكاثوليك . والشرقيُّون ولاسيما طوائف السريان يكرّمون تذكارهُ فيذكرونهُ في كلنداريهم في ٨ كانون الثاني وفي ٢٨

منهُ وفي ١٩ شباط وفي ٢ حزيران وفي ١٨ منهُ وهو يوم رقادهِ . اما الكنيسة اللاتينية فخصَّت لعيدهِ اليوم الاوَّل من شباط . وقد ذكرهُ القديس ايرونيموس في جملة مشاهير زمانهِ (De Vir. ill., 115) اطلب ترجمتهُ في البولنديين (Acta SS, IV : 49-77) وراجع المكتبتين اللاتينيَّة (BHL, 385) والشرقيَّة (BHO, 63)

﴿ اليان او يوليان ﴾ اشتهر كثيرون من اولياء الله باسم اليان او يوليان وقد عرف منهم اهل الشام اثنين خصوصاً وهما اليان الحمصي واليان الناسك منشئ دير القريتين . فاليان الحمصي ولد في اواسط القرن الثالث للمسيح في حمص وتعلَّم الطبَّ وكان مؤمناً بالسيِّد المسيح يطبب الفقراء مجَّاناً ويدعوهم الى الايمان ويزور الشهداء ويضمِّد جراحاتهم فسُعي بهِ الى حاكم المدينة فتهدَّدهُ بالموت وعذَّبهُ العذابات المرَّة فلم يُغلَب صبرهُ حتى قضى عليهِ بالقتل فقُتل سنة ٢٨٩ على عهد الملك نومريان وقيل انهُ قُتل في عهد ديوقلطيانوس سنة ٣١٢ (اطلب المشرق ٩ : ٩٥٨ وكلنداو الكنيستين Nilles: *Kalendarium utriusque Ecclesiæ*, I, 95) وترجمتهُ الخطِّيَّة في احدى مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة سينشرها عمَّا قليل حضرة الاب بيتر اليسوعي في نشرة البولنديين (Analecta Bollandiana) اطلب مكتبة القديسين الشرقيَّة (BHO, 123)

اما اليان الثاني مؤسس دير القريتين فقد روى ترجمتهُ في المشرق (١٠ : ١١٥ — ١٢٤) حضرة القس اسحاق ارملة . يؤخذ منها انَّ اليان هذا او يوليان ولد في ارزن عند نهر الفرات قريباً من آثور وزهد في الدنيا فعاش عيشة النسَّاك في براري حيداب وتتلمذ لهُ كثيرون منهم القديس افراهاط الفارسيّ الكاتب الشهير بالسريانيَّة ثم تجوَّل في برِّيَّة سينا وفي فلسطين وجهات الشام وسكن مدَّة في مدينة قورش ليردّ اهلها من ضلالهم فنجح وأسَّس دير القريتين في منتصف الطريق بين تدمر ودمشق وفيهِ توفي سنة ٣٦٧ وقيل ٣٧٠ وعيدهُ هناك في ٢٢ ايلول حضرنا حفلتهُ فوصفناها في رحلتنا الى بادية تدمر (اطلب المشرق ٩ : ٩٥٧ — ٩٥٩)

﴿ أمرن ﴾ هو احد النساك الذين يكرمهم الرهبان اللبنانيُّون خصوصاً يذكرونهُ في ١٥ اذار وفي ١٩ أيَّار كما ورد في السنكسار الماروني . اما اللاتين فذكرهُ في كلنداريهم واقع في ٢٦ كانون الثاني . كان احد نساك برِّيَّة نطرون في مصر تتلمذ

لهُ هناك عدد غفير من الرهبان قيل انهم بلغوا ٣٠٠٠ عدًّا توفي بسلام سنة ٣١٨. واعمالهُ قد كتبها معاصرهُ كرونيموس في تاريخ الرهبان وبلاديوس في تراجم الآباء. اطلب اعمال الاباء اللاتين لمين (Migne, PP. LL, LXXIV, 258) ومكتبة الاباء اللاتينية (BHL, 64) وفي تراجم البولنديين (Acta SS. L, 413-422)

﴿ انطونيوس الكبير ﴾ هو ابو الرهبان ومنشئ المعيشة النسكية في الاديرة. كان مولدهُ في كوما من قرى مصر سنة ٢٥٠. سمع في ريعان الشباب آية الانجيل ان اردت الكمال بع كلَّ ما لك واعطهِ الفقراء وتعال اتبعني. فاتمَّ ذلك بالحرف وزهد في الدنيا واختلى في مغارة منقطعاً لخدمة الله وللجهاد مع عدوّ النفوس حتى ظفر بهِ تماماً. ثم عرف بهِ مواطنوهُ فقصدوهُ ليعيشوا تحت تدبيرهِ فما لبثت القفار ان ازدهرت بضائلهم واضحت البراري مساكن لاشباه الملائكة بعد ان كانت مأوى للوحوش. توفي القديس انطونيوس سنة ٣٥٦ وله من العمر ١٠٥ سنوات في ١٧ كانون الثاني وعيده في ذلك اليوم في كل الطقوس. وذكره في لبنان شائع على اسمهِ عدَّة كنائس واديرة ولاسيما مار انطونيوس قزحيا (اطلب المشرق ٤: ٣٦١) ويزعم البعض دون سند بان القديس عاش هناك مدَّة. وحياة ابي الرهبان قد كتبها القديس اثناسيوس البطريرك الاسكندري. اطلب اعمال الآباء اليونان لمين (PP. GG. XXVI, 125-170) ومكتبتي القديسين اللاتينية (BHL, 99) والشرقية (BHO. 14)

﴿ انطونيوس البادوي ﴾ انتشرت عبادة هذا القديس على يد المرسلين الفرنسيسيين منذ القرن الخامس عشر. وعلى اسمهِ شُيّدت كنائس في الجبل كعبدا والمزرعة وغزير. اما القديس فكان مولده في لشبونة من اعمال البرتغال سنة ١١٩٥ ثم انتظم في سلك رهبان القديس فرنسيس وكان من اوّل تلامذتهِ فاستقى من موردهِ ونهج منهجهُ في الفضائل فقضى حياتهُ في كل البرّات كالوعظ والتعليم والتأليف ومات مغمضاً فضلاً وبرارة في ١٣ حزيران سنة ١٢٣١ ولم يتجاوز عمره ٣٦ سنة. وعُرف بالبادوي نسبةً الى مدينة بادوا في ايطالية حيث شاع فضلهُ اما سيرتهُ فتجدها في اعمال البولنديين (ج ٢٣ ص ١٩٦—١٦٩) وفي مروج الاخبار يوم وفاتهِ. راجع مكتبة القديسين اللاتينية (BHL, 95)

﴿ اوتل ﴾ هو القديس الذي طلب منّا عنهُ بعض افادات الطيب الذكر

السيد يوسف الدبس وذكر انَّ عيده واقع عند الموارنة في ٣ حزيران وان على اسمه كنيسةً في قرية كفر سغاب . وقد اجبنا في المشرق (١٠ : ٦٧١—٦٧٢) على هذا السؤال ثم وجدنا عن القديس غير معلومات في سنكسار اليعاقبة في نسخة خطية لبطة البطريرك الجليل السيد اغناطيوس افرام الثاني الرحماني وكذلك ورد ذكره في المكتبة الشرقية للسمعاني (٢ : ٢٦٥) وفي كلندار صليبا اليعقوبي (P. Peeters : *Martyrologe de Rabban Sliba, 165, 185*) في ٩ تشرين الاوّل و٣ حزيران . ومن كل هذه الشواهد يؤخذ انَّ اوتل او اوطيليوس ولد في مدينة تدعى مجدل او مجدلون في بلاد ليقية في آسية الصغرى نحو القرن السادس للمسيح من ابوين وثنيين . لكنَّهُ اصاب في صغره نعمة الهدى فتنصَّر وهرب من بيت والديه فراراً من الزواج فأبحر الى مدينة تدعى موميسطا (؟) وخلَّص ركَّاب السفينة من الغرق ونزل في القسطنطينيَّة وتنسَّك في بعض اديرتها ثم عاد الى وطنه وسكن مدَّة في جوار انطاكية ثم في ليقية وفي آخر عهده هناك بشَّر الوثنيين بالخلاص وعمَّدهم وانجز حياتهُ في البريَّة في دير بناهُ بقربهم وسكنهُ الى سنة وفاته . وقد جاء في كلندار الكنيسة الانطاكيَّة للبيروني الذي نشرناهُ في المشرق (٦ : ٦٩) اسم شهيد يدعى اوطيلوس في تاريخ ٢٣ ايلول ولا نعلم أهو القديس اوتل المذكور او غيرهُ

﴿ اوجين ﴾ او اوكين هو ابو الرهبان الشرقيين فالتقليد الثابت في الشرق انَّ اوجين هذا كان احد رهبان القديس انطونيوس في مصر قدم بلاد الجزيرة مع ٧٠ راهباً ونشر فيها المناسك الرهبانية فصارت بلاد ما بين النهرين شبيهة بوادي الصعيد بعدد رهبانها وكثرة قدّيسيها الابرار الذين عطَّروا بعرف الفضائل جهات العراق وكردستان وارمينية وشنُّوا الغارة على الوثنيَّة والمجوسيَّة والاضاليل الهرطوقيَّة حتى قرضوها الى زمن البدعتين النسطوريَّة واليعقوبيَّة . وكان اوجين صورةً حيَّة لفضائل معلّمه القديس انطونيوس منحهُ الله مثلهُ صنيع الآيات الباهرة . وكانت وفاتهُ في ٢٠ نيسان سنة ٣٤٣ وفيه تذكره كل الكنائس السريانية وترجمتهُ قد نشرها بالسريانية حضرة الاب بدجان اللمازاري في تراجم القديسين والشهداء (٣ : ٣٧٦) وبالعربية الخوري يعقوب نعمو في كتاب التراجم السنيَّة للاعياد المارونية لايليًا الثالث ابن الحديثي (ص ١٦٠)

﴿ ايلاريون ﴾ او هيلاريون هو ايضاً احد القديسين النسَّاك الشائع ذكرهم

بين رهبان لبنان. وُلد في قرية مجاورة لفزّة تُدعى تيبة سنة ٢٩١ ثم قصد في مقتبل العمر بلاد مصر وتتلمذ للقديس انطونيوس ثمّ عاد الى بلاد الشام وسكن على ما يقال مدّة في جهات الفرزل قريباً من البقاع ثم عاد الى فلسطين فانشأ فيها الاديرة وتوفّر عدد الرهبان حتى صارت مناسك فاران والاردن ومواب ونواحي العرب ممثلة لفضائل رهبان الصعيد. توفي القديس ايلاريون في ٢١ تشرين الاوّل من السنة ٣٧١. وقد وصف حضرة الاب موسيل الآثار الباقية الى يومنا من هذا الرجل العظيم في وطنه (اطلب المشرق ١: ٢١٣—٢١٥) تجد ترجمتهُ في مروج الاخبار (ص ٦٣١) وبيان مآثره في مكتبتي القديسين اللاتينيّة (BHL, 579) والشرقية (BHO, 88) واقدم ما كُتب عنهُ ترجمة نقيسة للقديس ايرونيموس معاصره (PP. LL, XXIII, 29-54)

﴿ ايليّا ﴾ هو ايليّا النبي العظيم لهُ في لبنان عدد لا يُحصى من الكنائس والاديرة المشيّدة على اسمهِ نخصّ منها بالذكر كنائس بيروت للموارنة والروم الكاثوليك والارمن الكاثوليك والروم الارثوذكس وكذلك عدّة قرى من لبنان كانطلياس وحلند وغزير وغيرها. كثير واشهر مزاراتهِ دير جبل الكرمل. اما اعمال القديس فكلّها مسطرة في سفري الملوك الثالث والرابع من الاسفار المقدسة فعليك بها. وقد جمعنا في مقالة منفردة في المشرق (٩: ٧٠٧) خلاصة سيرتهِ وآثاره وما يختصّ بعبادتهِ فلتراجع (لها بقيّة)

عماد الهراطقة ومجلّة الكلمة الارثوذكسية

بقلم الاب انطون رباط اليسوعي

لسيادة الاسقف رفائيل هواويني صاحب مجلّة «الكلمة» الارثوذكسيّة التي تُطبع في نيويورك مقالات دينيّة وتعليميّة وتهذيبيّة لا يكاد بعضها يتميّز عن معتقد الكنيسة الكاثوليكيّة فوجب علينا ان لا نبخسها ما تستحقّهُ من الثناء والشكر رجاء توفير ما يُبعد اسباب النزاع الذي لا طائل تحتهُ ويُقرّب الافكار الى وحدة الايمان. وكنّا نودّ ان يكون ثناؤنا كاملًا لا يشوبهُ شيء من التحفّظ لكنّ الحقيقة تضطرّنا الى ان نبدي

ملحوظاً انتقادياً على ما ورد في العدد ٢٢ من السنة الخامسة (١٥ ت ٢ سنة ١٩٠٩) بشان مجمع او مجامع قرطجنّة الملتئمة سنة ٢٥٥ و٢٥٦ . فبعد ان اثبت الكاتب تاريخ المجامع السبعة المسكونيّة ودافع عن عصمة الكنيسة (١ تطرّق الى تعداد المجامع المكانيّة التي أثبتت من مجمع مسكوني فاعتُبرت قراراتها معصومةً عن الغلط قال :

ففي كنيستنا الارثوذكسية توجد تسعة مجامع مكانية قديمة مثبتة من المجامع المقدسة المسكونية نورد هنا باختصار تاريخ كل منها على حدة اتماماً للفائدة

المجمع الاوّل المكاني انعقد في مدينة قرطجنة في الشمال الغربي من افريقيا سنة ٢٥٥ حضره الاساقفة المحلّيون تحت رئاسة اسقف قرطجنة القديس كبريانوس وذلك للنظر في مسألة معمودية الخارجين عن الكنيسة فقرّروا انهُ لا يقدر احد ان يتمسد خارج الكنيسة معمودية حقيقية . . . ثم انهُ في السنة التالية اي سنة ٢٥٦ قد التأم مجمع ثانٍ في قرطجنة ايضاً وتحت رئاسة القديس كبريانوس حضره ٧١ اسقفاً من نوميذية وسائر افريقيا الشمالية الغربية فثبت قرار المجمع السابق موضحاً كون معمودية المراطقة ليست بمعمودية حقيقية ولهذا يجب تعميد المرتدّين منها الى الارثوذكسية وبالتالي كون تعميد المراطقة المرتدّين الى الارثوذكسية ليس هو اعادة معمودية بل معمودية اولى حقيقية . . . ثم بعد مدّة وجيزة اي في سنة ٢٥٦ نفسها قد انعقد مجمع ثالث في مدينة قرطجنة ايضاً وتحت رئاسة القديس كبريانوس ذاته حضره ٨٧ اسقفاً فأصدر هذا المجمع رسالة قانونية تُسمّى قانوناً ثبت فيه قرار المجمعين السابقين . . . وهذه المجامع الثلاثة يعلم انها قد جرت في خلال سنة واحدة تقريباً وفي مدينة واحدة وتحت رئاسة واحد وموضوع اعمالها واحد لهذا تُعتبر كمجمع واحد مكاني . وقد تثبّت هذا المجمع اولاً من المجمع الثاني المسكوني (في قانونه السابع) وثانياً من المجمع السادس المسكوني (في قانونه الثاني) . انتهى

(قلنا) لنا في ما تقدّم نظر نستأذن سيادة صاحب مجلّة الكلمة ان نعرضهُ بوجيز الكلام رغبة في فائدة القرّاء . وموضوعنا يعود الى مسئلتين : الاولى صحّة هذا المجمع . والثانية تعليم هذا المجمع

١ صحّة هذا المجمع

قال حضرة كاتب الكلمة :

ان في الكنيسة الارثوذكسيّة تسعة مجامع مكانية قديمة مثبتة من المجامع المقدسة المسكونية ولهذا تُعتبر معصومة عن الغلط واولها المجمع المكاني المنعقد في قرطجنة سنة ٢٥٥ الخ

---

١) وقد جعل الكاتب العصمة في الكنيسة بمعزل عن الرأس خليفة بطرس نائب الرسل وهو قولٌ تردُّهُ النصوص الانجيلية فضلاً عن التقليد كقول الرب لبطرس : « انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي » وكقولهِ لهُ : « ثبّت اخوتك » . وقولهِ : « ارعَ خرافي . ارعَ نعاجي »

نجيب: ١ً لم تتفق الكنيسة الارثوذكسيَّة على هذا العدد فقد ذكر بعضهم عشرة مجامع مكانيَّة وغيرهم تسعة او سبعة الخ. وعليه يحتاج قول الكلمة الى نظر

٢ً لم نجد في المجموعات الارثوذكسية ذكرًا لمجمع قرطجنة بين المجامع المكانيَّة وقد قلَّبنا ما اتصلت اليه يدنا من الكتب المطبوعة والمخطوطة فلم نجد ما يستند اليه صاحب المقالة. فهاك مثلًا كتاب الكتر الثمين تأليف العالم بطرس تشايف الروسي وفيه تلخيص حقوق الكنيسة الارثوذكسية (١ فمن الصفحة ٢٢ الى ٢٧ عدَّد المجامع المكانية العشرة « الضروريَّة لكل المسيحيين الارثوذكسيّين » ولم يذكر مجمع قرطجنة الاوَّل مطلقًا وما لمَّح اليه في تنبيهه الاخير حيث ذكر قوانين ديونيسيوس و بطرس واثناسيوس الخ. وهاك « كتاب قوانيين الرسل والمجامع المسكونية والمكانية في الكنيسة الارثوذكسية » وهو معرَّب بقلم احد بطاركة الشرق على ما جاء في اوَّله (٢ فقد ذكر في الصفحة ١٠٨ وما يليها قوانين المجامع المكانية تبعًا لنصّ الترجم الاوَّل فلا ذكر بينها لمجمع قرطجنة ولكن الناشر زاد على النصّ تلميحًا وجيزًا للمجمع الذي نحن في صدده وذلك بحرف دقيق تمييزًا له عن حرف النص وقال في المقدَّمة انهُ اتخذهُ عن شرح لبطريرك آخر شرقي لم يتكرَّم علينا بذكر اسمه لنعرف زمانهُ

ثم راجعنا المجموعات المخطوطة المستعملة في الكنيسة الارثوذكسية فقد اطَّلعنا على اربعة او خمسة منها يرتقي عهد بعضها الى نيف وثلاثمائة سنة فتصفَّحناها لكننا لم نجد ذكرًا للمجمع الذي وصفتهُ مجلَّة الكلمة. أيكون ذلك سهوًا منها او تكون جهلتهُ؟ او ليس ذلك بالاحرى لعدم اعتبارها لهذا المجمع بين المجامع المقبولة في الكنيسة الارثوذكسيَّة؟. ثم قال سيادة صاحب المقالة:

قد تثبَّت هذا المجمع اوَّلًا من المجمع الثاني المسكوني (في قانونه السابع)

اخذنا مجموعة مانسي الشهيرة التي تحوي اعمال كل المجامع في ٣٣ مجلَّدًا ضخمًا وقرأنا فيها القانون المذكور حسب النصَّين اليوناني واللاتيني فاذا به لم يثبت مجمع قرطجنة بل لم يذكرهُ ولم يلمّح اليه. وفي غضون بحثنا وردت علينا الطبعة الجديدة

(١ نقلهُ الى العربيَّة جميل فتح الله انطاكي وطبعهُ سنة ١٩٠٧ على نفقة السيد ايفان ايفانوفيتش سباكي ناظر المدارس الروسيَّة في شمالي سوريا

(٢ طُبع في القاهرة سنة ١٨٩٤ عن نسخة مخطوطة سنة ١٧٥٤

تاريخ المجامع للعلّامة الالماني هيفيله (Héfélé) فـأعدنا النظر في القانون السابع وطالعنا سائر قوانين المجمع فلم نلقَ ضالّتنا. فاقبلنا على الترجمة العربيـة في الكتب الارثوذكسية فخاب مسعانا. اجل ان هذا القانون يبحث في نوع قبول المراطقـة في الكنيسة لكنّهُ لا يذكر مجمع قرطجنة او بالحرى يخالفهُ كما سترى. ثم قال سيادته:

وقد تثبت هذا المجمع ثانياً من المجمع المسكوني السادس (في قانونه الثاني)

فبهذا القول قد احالنا سيادة الكاتب الى المسألة الثانية اي تعليم هذا المجمع المزعوم

٢ تعليم هذا المجمع

نلاحظ (اوّلاً) ان هذا القانون من جملة قوانين ليست للمجمع السادس المسكوني لكنها لمجمع القبّة (in Trullo) الذي الحقهُ اليونان سرًّا بالمجمع المسكوني دون اتّفاق الآباء. ولا تزال الكنيسة الكاثوليكية تنكر قانونيّتهُ اذ لم يثبّتهُ الاحبار الرومانيون

(ثانياً) هذا نصّ القانون في الفقرة المتعلّقة بالقديس كبريانوس نقلاً عن كتاب قوانين الرسل (الطبعة العربية الارثوذكسية ص ٦٠)

« . . . وقد تمّ بقية القوانين جميعها ايضاً وهي الموضوعة من آبائنا القديسين. . . »

وبعد ان عدّد اسماء هؤلاء الاباء من ثاوفيلوس الاسكندري الى جناديوس القسطنطيني قال :

« ثم ايضاً والقانون المرضوع من كبريانوس الذي كان رئيس اساقفة بلدة اقرون (كذا) الشهيد ومن المجمع الذي كان في عصره الذي ثبت في مواضع الرؤساء المذكورين فقط حسب العادة المسلمة عندهم »

وفي نصّ الكتاب الشين الارثوذكسي (ص ٢٦٣) :

« وايضاً كبريانوس الشهيد الذي كان رئيس اساقفة الجهات الافريقية وكذلك المجمع الذي كان في عصرهِ والذي كان لهُ قوّة عند رؤساء الجهات الآنفـة الذكر فقط وذلك حسب العادة المسلمة لهم »

(قلنا) وقبل الجواب لا بدّ لنا من النظر في ما قصدهُ آباء مجمع القبّة حيث ذكروا « القانون الموضوع من كبريانوس » وارتباط احكامهم بعضهـا مع بعض لئلّا تكون هناك مخالفة واضحة لما صرّحوا بهِ. فما هو هذا القانون المزوّر لكبريانوس ؟ ذهب قوم

من العلماء انهم ارادوا ان يحطّوا من شأن الحبر الروماني وهم يلتحقون الى جملة وردت في افتتاح مجمع قرطجنة الثالث (سنة ٢٥٦) حيث قيل تعريضاً بالكرسي الروماني : « لا يجوز لاحد ان يدّعي انهُ اسقف الاساقفة ». وذهب غيرهم ان هذه الفقرة قد زيدت في غير محلّها التاريخيّ وذلك بعد ذكر الاباء الذين سبقهم كبريانوس مُلحقةً باقوالهم إمّا من اباء المجمع واما من يد غريبة تَشفِيًا من كرسي رومية وذكرًا لمجمع لم يرضَ به. وقال آخرون غير ذلك. والله اعلم. ومهما كان من الامر فان مطالع الفقرة المذكورة في النصّ اليوناني قد يجدها مضطربة التركيب صعبة التفسير. على انهُ لم يخفَ على كتّاب الفقرة ما وراءها من النتائج. ولذلك تجدهم متحفّظين مرتبكين في وصفهم مجمعاً « ثبت في مواضع الرؤساء المذكورين فقط حسب العادة المسلمة عندهم » وهم يقرّون ان المجمع الافريقي لم يُقبل في الكنيسة الجامعة ولم يثبت حكمهُ الّا عند الاساقفة الافريقيين الذين وقعوا على احكامهِ وان العادة التي أستندوا اليها حكمهم لم تكن تقليداً كنائسياً عامًا لكن عادة مكانيّة لم تتجاوز حدود اقاليمهم

على انك ان لم تزُل قولهم تأويلًا حسناً وآثرت الترجيح بانهم انكروا عماد الهراطقة اجمالًا على رأي الافريقيين الجائك البراهين الى الاقرار بكونهم خالفوا جليًا القانون السابع للمجمع المسكوني الثاني وناقضوا ذاتهم في قانونهم الخامس والتسعين وضادّوا تقليد الكنيسة في زمانهم وان الكنيسة الارثوذكسية هي كذلك قد خالفت هذا الحكم المجمعي مدّة عشرة قرون ونيف كما سترى

فالقانون السابع للمجمع الثاني المسكوني (١ والقانون الخامس والتسعون لمجمع القبة او المجمع اللاحق بالسادس يتفقان في المعنى غايتهما تبيان التصرّف مع الهراطقة اذا تابوا عن اثمهم وعادوا الى « الرأي المستقيم وحظ المخلصين » (٢ فهل ينكر

---

١) لا تجهل ان العلماء في ايّامنا كيفيله وبفريدج (Beveridge) وغيرهما ينكرون كون القانون السابع المذكور من احكام المجمع المسكوني ويذهبون انهُ فقرة من رسالة بعث بها كنيسة القسطنطينية في القرن الخامس الى مرتيريوس الاسقف الانطاكي. وقد زيدت الفقرة على قوانين المجمع الثاني بعد اعوام طويلة وجعلها مجمع القبة قانونه الـ ٩٥. وقد ذكر صاحب الشرح المطوّل على كتاب الرسل (ص ٢٢) ما يوجد من المشابهة بين الرسالة المذكورة والقانون السابع

٢) اطلب الكتر الثمين (ص ٢٤٨ و٢٨٧) وكتاب قوانين الرسل (ص ٢١ و٩٢)

المجمع معموديتهم اجمالاً كلا . لكنهُ يقسمهم الى قسمين ويعدّد اللاحقين بكل قسم ثم يحدّد ان الاولين لا تُعاد معموديتهم بل يُمسحوا فقط بالميرون بعد ان يكونوا لمسوا المراطقة واعترفوا بايمان الكنيسة المقدسة واما الاخرون فيُقبلون كالوثنيين اعني يُتلمذون ويسّدون ثم يُمسحون (١ ولم يأتِ بذكر المبدإ الذي ادّعاه صاحب مجلة الكلمة حيث قال : « ان الكنيسة قرّرت أنهُ لا يقدر احد ان يعتمد خارج الكنيسة معموديةً حقيقةً » والّا لوجب الحكم عليهم سواء . وان سألتَ لِمَ رضي المجمع بمعمودية هؤلاء ورفض معمودية الاخرين ؟ واي فضل للاريوسي (ناكر لاهوت الاقنوم الثاني) والمكدوني (ناكر لاهوت الروح القدس) على النطاني والصابالي لتُقبل معمودية الاريوسي والمكدوني كمعمودية حقيقية وتنكر معمودية النطاني والصابالي (٢ فالجواب انَّ الاولين كانوا لا يزالون في أيام المجمع الثاني محافظين على شرائع المعمودية الحقيقية من صورة ومادّة ونيّة وان ضلّوا في المعتقد ؟ اما الاخرون فلم يحفظوها (٣

وزد على ذلك ان القول بان آباء المجمعين وافقوا على التعليم الافريقي في عماد المراطقة وحكموا بصدقه والزموا به الكنيسة الجامعة لمّا يولد مشاكل تاريخية لا تعدّ احصاها الاقرار بان كنيسة المسيح خالفت شرقاً وغرباً ما سنّتهُ المجامع فبقي هذا الحكم على ممرّ الاجيال ولا يزال نسياً منسيّاً . فكل يعلم ان الكنيسة الرومانية لم ترضَ قط بما ارتآهُ كبريانوس خلافاً للتقليد القديم (٤ وقد حافظت على معتقدها جيلاً بعد جيل . ولم تخالفها في ذلك الكنائس الشرقية حتى القرن العاشر او الحادي عشر وان

---

١) اطلب الشرح الملحق بالقانون السابع للمجمع الثاني في « كتاب قوانين الرسل » (ص٢٢) تجد انّنا وصاحب الشرح الارثوذكسي متّفقون في معنى النص المذكور

٢) اطلب نص القانونين

٣) راجع مقالة الاب اغلون صالحاني في المشرق (٩ : ١٦١)

٤) وقد اقرّ كبريانوس بذلك وبمداناة تعليمه لكنهُ اعتبر المسلك القديم شططاً اراد اصلاحه فلم يفلح وتشبث برأيه ناضرّ بذلك مُعاصريه . وما العصمة في دينا للفان ولو قديساً ولا لمجمع اقليمي لكن لكنيسة المسيح ورأسها المنظور اذا ما حكم هذا حكماً شرعياً تلبياً . هذا ولم يمضِ على المجمع الافريقي ستان حتى قام المضطهدون على الكنيسة فسفك كبريانوس دمهُ شهادة لربه ودينه فكفّر دم الشهيد عمّا قد فرط ساعات الجدال فمن قلم المعلم

قام بعد ذلك قوم من كتبتها ومطبيها فوضعوا لتأكيد حقيقة المعموديّة شروطاً هي من الفوائد الطقسية او الرمزيّة التي لا تجيز العماد في بعض الظروف او من التقاليد التهذيبية التي قد تبدلها ظروف الزمان والمكان لكنّها لا تمس حقيقة السر. ولم يصنع هؤلاء ما صنعوا الّا لغايات في النفس او لما قد تورثهُ حُميّا الجدال من المبالغة والمغالاة. وعندنا ان عدم تميز الكثيرين بين ثبات الاسرار (validité) وجوازها (licéité) هو اصل الاغلاط الكثيرة (١

وليس هنا المقام لنتتبع سالك الكنيسة الارثوذكسية في شان المعموديّة فقد سبقنا الى ذلك كتبة اشتهروا بمعارفهم الشرقية كالاب اورالیو پالماري (P. Aur. Palmieri) صاحب المقالات المشهورة في الكنيسة الروسية (٢ والاب العلّامة ل . بتي (L. Petit) الصعودي (٣ مجدّد طبع مجموعة مانسي فيلينا بالنصوص الكثيرة والبراهين الدامغة ان الكنيسة القسطنطينية لم تحتم في الماضي بمعموديّة المخالفين لمعتقدها (وخاصةً اللاتين) وانها منذ قرنين او ثلاثة الى هذه الايام لا تزال مترددة في الامر تارةً تحكم بقبولها وتارة تحكم بنكرانها . امّا الكنيسة الروسية فانها كانت ولا تزال تقبل العماد المعطى بالنية والمادّة والصورة المفروضة وإن منح هذا السرّ مخالفٌ لها او من تدعوهُ مبتدعاً

هذا ما رأينا في ذكره فائدة علمية وعملية ودينية بشان بحث قرطجنة الذي جعلتهُ مجلّة الكلمة الارثوذكسية في مقدّمة المجامع المكانية المعادلة في احكامها للمجامع المسكونية خلافاً للتعليم الارثوذكسي العام والمجامع التي استندت اليها رأيها الخاص. اما البحث التفليسي في حقيقة سر المعمودية المعطاة من الهرطوقي او الوثني فقد شرحهُ حضرة الاب انطون صالحاني في مجلّة المشرق (المجلد التاسع سنة ١٩٠٦

---

١) كثيراً ما يكون السرّ حقيقياً ثابتاً وإن غير جائز كما لو عمّد الطفل في البيت والكنيسة تأمر ان يُؤتى به الى الكنيسة او عمّد بالصبّ والطقس لا يسمح به الّا عند الحاجة او اذا قدّس الكاهن الاسرار بلا بدلة او اندميس الخ ففي كل هذه الاحوال يكون السرّ ثابتاً لكنهُ لا يجوز وامثال ذلك كثيرة في الاحكام الدينية والمدنية

٢) اطلب مقالتين لهُ في تاريخ العماد عند الارثوذكس في مجلة الشرق المسيحي (Revue de l'Orient Chrétien) السنة ٧ : ٦١٨ و ٨ : ١١١

٣) اطلب مقالته في مجلة اصداء الشرق (Echos d'Orient) السنة ٢ : ١٢٢

ص ١٦١ و ٢٠٤ شرحاً علمياً وافياً بيّن فيه ان المعمودية لا تكتسب شيئاً من ايمان خادم السرّ وبرارته ولا تخسر شيئاً لكفره وخطيئته واثبت مقالته بالبراهين اللاهوتية واحكام اباء الكنيسة الغربية والشرقية والمجامع المقدّسة ففيه كفاية والسلام

نقائض جرير والفرزدق *

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

انّ للنقائض عموماً اهمّيّة ليست لغيرها من القصائد. فهي عُيون الشعر وذلك لاسباب عديدة. منها ان الشاعر تدفعهُ الى انشادها حزازات في النفس وعواطف تغلي في القلب فتخلو من ثم من التكلّف وتكتسب لهجة حماسة قلّما توجد في غيرها

ومن صفات النقائض انها سلاح الشعراء فيخوض فرسان الشعر في ساحة القتال ويسدّدون النبال ويرمون السهام ويصوّبون الرماح وينتضون السيوف فيبارز الشاعر قرنه ويناضل عن قومهِ وعشيرتهِ فان انتصر انتصروا وان خُذل خذلوا. شرفه شرفهم وذلّه ذلّهم. كما حدث لراعي الابل لما لخزاه جرير. فوثب راعي الابل ساعتئذٍ فركب بغلتـه بشرّ وعرّ وخلّى المجلس ثم قال لاصحابهِ ركابكم ركابكم فليس لكم ههنا مقام فضحكم والله جرير. فقـال لهُ بعض القوم ذاك شؤمك. وعليهِ فلا بدّ للشاعر من ان يجهد نفسهُ في نقيضتهِ ويباري مُناوئهُ ليفوز عليهِ فتكتسي قصيدتهُ متانةً ورونقًا يندر وجود مثلها في سائر الشعر. كما فعل جرير اذ انشد القصيدة التي يهجو بها الراعي. قال صاحب الاغاني : « فانصرف جرير غضبان حتى اذا صلّى العشاء بمنزلهِ في عليّة لهُ قال ارفعوا لي باطية من نبيذ وأسرجوا لي . فأسرجوا لهُ وأتوهُ باطية من نبيذ. قال فجعل يهمهم فسمعت صوتهُ عجوز في الدار فاطلعت في الدرجة حتى نظرت اليهِ فاذا هو يحبو على الفراش لما هو فيهِ . فانحدرت وقالت ضيفكم مجنون رأيت منهُ كذا وكذا. فقالوا لها : اذهبي لطيّتك نحن اعلم بهِ وبما يمارس . فما زال

(*) The Nakâi'd of Jarir and al-Farazdak, edited by ANTHONY ASHLEY BEVAN M. A. Vol. I Part. 1-3, Vol. II, Part. I et 2, *Leiden, Brill* 1905. - 1909.

كذلك حتى كان السحر . ثم اذا هو يكبّر قد قالها ثمانين بيتاً (وهي في النقائض ١١٢ بيتاً) في بني نمير (وهم قوم الراعي) . فلمّا ختمها بقوله :

فغُضَّ الطرفَ انّك من نُمَيرٍ فلا كَعباً بلغتَ ولا كلابا

كبّر ثم قال: اخزيتهُ وربّ الكعبة »

ثم ان النقائض هي التهاجي في الشعر . فيضطرّ الشاعر الى تعداد مساوئ اعدائه وذكر الايام التي توالت بين قومه وقبائل الذين يهجوهم موضّحاً ما آلت اليه امورهم من التضعضع . فمثل هذه القصائد هي كتاريخ منها نعلم احوالهم ونطلع على اخبارهم ونعرف رجالهم المشهورين وفرسانهم المذكورين ونتحقق الازمنة والامكنة التي عاشوا فيها . فكم من الاماكن والبلدان والجبال والوديان والمياه والقرى ورد ذكرها في تلك القصائد . وكم من الابطال لم نكن نعرف اسماءهم لو لم تُعلنهم لنا النقائض . كما هو الامر في معلقة عمرو بن كلثوم ومعلقة الحرث بن حلزة

وما عدا هذه المزايا التي تتحلّى بها النقائض فهي بسبب اتقانها وشهرتها ومقدرة منشديها اصفى واعذب منهل يرده طلّاب العربية الراغبون في خوض بحرها والوقوف على دقائقها والتحلّي بزينتها وكمالها . ولا جرم ان نشر مثل هذه الآثار القديمة يفيد جدًّا لتحقيق معاني الالفاظ اللغويّة ومعرفة طرق استعمالها

فالفائدة الكبرى هي اذاً معرفة التاريخ والامكنة وفقه اللغة . اما النسيب والوصف والفخر والمديح والهجاء فانّ هذه المواضيع وامثالها تنحصر في دائرة ضيّقة لا يكاد يتجاوزها شعراء العرب في اي عصر اشتهروا لاسيما بعد الهجرة . وكأنّ من نبغوا بعد زمن الجاهليّة جهلوا التفنّن فتراهم ينتحلون معاني الشعراء الذين سبقوهم فيؤلّفونها ويكسونها حلية جديدة من الابيات وينشدونها كأنّهم ابتكروها . ولم يكتفِ المتأخرون بأن ينتحلوا معاني المتقدّمين بل يستعيرون ايضاً منهم العبارات والابيات . ويمكننا ان نؤيّد قولنا هذا بامثلة عديدة ونبيّن كيف ان الشعراء في دولتي الامويّين والعبّاسيين اتّبعوا آثار من تقدّمهم وقلّما نهجوا طرقاً جديدة . ومن ثمّ ادنى إلمام بالشعر لا يحتاج الى برهان ليتحقق ذلك . فقد برهن عليه بعض الأمثلة بخصوص شعر الاعشى العلامة جاير (Gayer) وبيّناه نحن ايضاً في اماكن شتى من الملحق لديوان الاخطل اذ قابلنا ابياتاً عديدة من شعره بابيات غيره من الشعراء الذين سبقوه او تلوه

الّا انّ هذا النوع من الشعر اي النقائض إن لم يصحبهُ شرح قديم لأئمة يعتمد عليهم كان كاللغز المعمّى لما يتضمّنهُ من التلميح الى وقائع هي مجهولة منا لبعد المسافة ومن الالفاظ اللغوية العويصة المهملة في العصور المتأخرة . امّا اذا اقترن الشعر القديم بشرح قديم واضح وافٍ بالمرام عظمت الفائدة لمعرفة اللغة ولعلم الامكنة التي اندرست وللوقوف على الحوادث التاريخيّة التي امّحى اثرها

هذا ما نجدهُ بنوع خاصّ في نقائض جرير والفرزدق . وذلك ليس فقط لوفرة القصائد المتقاة الواردة في هذا التأليف فانّها بلغت خمساً وتسعين قصيدة وطبع الكتاب لم يكمل بعد . بل ايضاً الشرح الذي يرافق الشعر ويفسّر الصعب من الفاظهِ ولكثرة الأيام التي يورد الشارح تفصيل اخبارها . ولا نبالغ اذا قلنا انّ اخبار الأيام والاحاديث والقصص التي وردت في النقائض يشغل شرحها ثلث الكتاب وفيهِ ذكر مئات من اسامي الاعلام يبيّن الشارح نسبها او يحدّدها . واذا قابلنا شرح الايام المذكورة في شعر الاخطل بشرح ما ورد في النقائض من الوقائع والاحاديث رأينا ان الشرح في شعر الاخطل موجز مُخلّ وانهُ في نقائض جرير والفرزدق مُطوّل مُملّ . لكنّا نفضّل التطويل لما فيهِ من الفائدة التاريخيّة خصوصاً في ما يتعلّق باخبار الاقدمين . وقد جمعها الشارح من مصادر مختلفة . كما اننا نفضّل تفسير الالفاظ الغامضة المعنى في النقائض على التفسير للالفاظ في شعر الاخطل لأنهُ اوضح واصحّ وافيد

الّا اننا نزل في نقائض جرير والفرزدق ابيات هجاء سافل بذيء مُستهجن يأباه الادب ويمجّهُ الذوق السليم وتنبو عنهُ الآذان مما يندر وجودهُ في شعر الاخطل وقد تعوّدهُ جرير والفرزدق . فانهما لا يلبثان في الهجاء ان يُعرّضا بالنساء وبما يُستقبح ذكره . كما ورد في القصائد ٢٦ : ١٠ و٣٠ : ٣٤ , ٣٦ و٣٩ : ٨٥—٨٩ و٤٢ : ٢٤—٢٦ و٤٧ : ٢٥ , ٢٦ و ٥١ : ٩٢—٩٦ و٥٣ : ٣٤—٣٨ وغيرها من النقائض خاصةً القصيدة ٩٢ . امّا الاخطل فما عدا اربعة او خمسة ابيات تراهُ يُعرض عن هجر القول . ولهذا كان مفضّلاً من هذا القبيل . وقد قال « ما هجوتُ احداً قطّ بما تستحي العذراء ان تنشده اباها »

ويؤلّف كتاب نقائض جرير والفرزدق من ثلاثة مجلّدات يحتوي كلٌّ من المجلّدين الأولين ثلاثة اقسام . اما المجلد الثالث فيتضمّن الفهارس المختلفة ومعجماً للالفاظ

الوارد شرحها في النقائض. وقد نجز المجلّد الاول وقسمان من المجلّد الثاني. وذلك عبارة عن ٩٠٢ صفحات بقطع كبير يجعل تداول الكتاب صعباً. وثمن ما طبع الى الآن ٦٢ فرنكاً ونصف. ولكن أن تقتني نقائض جرير والفرزدق بهذه القيمة افضل من ان تقتني بعشرة غروش ديوان جرير المطبوع بمصر لسوأ طبع مع خلوّه من الحركات والشرح والفائدة

ولما قرظنا القسمين الاوّلين من كتاب النقائض (المشرق ١٠ : ١٣٥) رفعنا الى الطبّاع الشهير بريل تبديل حروف الطبع باجمل منها فلم يصادف نداؤنا آذاناً صاغية. ومما يبرهن النقص في الحروف المعجمة انّ اللفظة « غلاء » [12] ٧٤٧, تصحفت بسبب دقّة النقطة على حرف النين فصارت « علاء » وكذلك « جراثيم » صارت « حراثيم » [13] ٧٧٠, وامثال ذلك كثيرة لا تُحصى. ومن المعلوم ان مطبعة بريل لا يمكنها ابدال الحروف في اقسام الكتاب نفسهِ فالامل ان تبدلها عند ما تباشر طبع اثر جديد فان نشاطها في طبع الكتب العربية مشهور

ويا حبذا لو كان اهل بلادنا يجارون المستشرقين في استخراج الكنوز العربيّة من دفائنها وينشرون ما كاد يموت منها فتحيا العلوم والعقول معاً

وليسمح لنا العلامة بيفن ان نعرض لحضرتهِ ما نرغبهُ في طبعة النقائض لتكون كاملة. نرغب ان يثبت في آخر الكتاب صفحة مرسومة بتصوير النور من كل نسخة من نسخ النقائض التي اعتمد عليها. لانّ ذلك احسن وسيلة لتعريفها فاننا بهذه الطريقة نعرف نوع الخط الذي كُتبت بهِ ومحالتها من الاتقان والضبط بالشكل

ثانياً بما انّ حضرتهُ قد احاط علماً بشعر جرير والفرزدق في النقائض وباخبارهما واطلع على اكثر الروايات فهو اقدر من غيرهِ على تبيان معاني الابيات وإبداء الرأي في صحّة الروايات وقد اورد منها كثيرًا في الحواشي مأخوذة عن مصادر مختلفة ذكرها في صدر الكتاب. فانّ رأيه اذا ابداه يكون كمصباح ينير سبل القرّاء. واذا تعذّر الحكم في كل الروايات فلا يصعب في بعضها. فالرواية « تنديبُ » [2] ٧٧١, هي خطأ لانّ الفعل بعد واو المعية المسبوقة باستفهام يكون منصوباً. امّا الكلمة « تدلّيتُ » [1] ٧٥٢, فنظنها خطأ والصواب « تدلّيتَ » لان الفرزدق يعيّر جريرًا بانّهُ تدلّى بحبلٍ ضعيف في حومة القتال اي انّ قومهُ كانوا ضعفاء جبناء في الحرب. ولذلك يجاوبهُ جرير [12] ٧٦٣, قائلاً « مددنا رشاءً... » ونظن انّ النتحة في « اصبَروا » [1] ٧٩٥, غلط

طبع عوض « اصبروا ». وفي [12] ٨٣٣, يروى ايضاً « مجدكم » في الصفحة ١٩ من نسخة شرح ابيات الايضاح الخطية للأعلم الشنتمري بمكتبتنا الشرقية . اما البيت [10] ٧١٨, فلم ندرك معناهُ لاننا لم نجد خبر انَّ في قولهِ « فانَّك والقومَ . . . » وعندنا انَّ الرواية هي « فدَيْاك والقومَ . . . ». ولم نجد فاعل « جرى » في هذه العبارة « وجرى بصمصمةِ الوئيدِ بشيرًا » [1] ٤٩٨, والصواب « بصمصمةُ الوئيدُ » فيكون الوئيد فاعل جرى

والحق يقال اننا وجدنا هذه الطبعة من اكمل وادقّ واضبط ما طُبع الى الآن . فنثني على همّة العلامة بيقن الشاء المطر راجين لحضرتهِ اتمام العمل عن قريب خدمةً للعلم والعلماء

والبرامكة الرشيد

رواية تاريخية ادبية ذات خمسة فصول يتخللها شعر قديم

بقلم الاب انطون رباط اليسوعي (تابع الفصل الاول)

المشهد السابع

ياسر . ابو نوّاس . ابن جامع . مخارق . اسحق . مروان . اشجع

اشجع ان الفضلَ بن الربيع لكريم

ابن جامع كأنهُ ربي في منازل البرامكة

ياسر هو من اعزّ اصدقائهم يُباريهم جودًا وكرمًا

اسحق واللهِ انكم لقومٌ انذال

ياسر ولِمَ ؟

ابن جامع أُخرُج عمَّا قلت

اسحق ألا ترون أنَّ في عملهِ سرًّا؟ واظنُّها مكيدة

ياسر اضغاثُ احلام

ابو نوّاس دعْ هذه التوهّمات

اسحق انتَ خادمُ البرامكة وتصنعُ هذا ؟

ياسر وما هذا ؟

اسحق يريد أن يغدر بهم

ابو نوّاس ان البرامكة لأسمى من ان يصلَ اليهم غدرُ غادر

اسحق لا شكّ أنّ لهُ غاية

ياسر غايتهُ ان يتوصل الى استعطاف البرامكة عليه

ابو نوّاس دعنا وغاياتهِ . انهُ كريمٌ يُعطي الشعراء حقّهم

مخارق وهذا حسبنا

اسحق والله ما غنّيتُ معكم وما مستُ ذهبَه

ابن جامع على رسلك

ابو نوّاس ان اسحق لمستغنٍ عن المال لا يصطاد من البرامكة

ياسر استعدّوا يا فتيان . هذا الموكب

المشهد الثامن

يدخل يحيى . جعفر . عبد الله . الاولاد . جبريل بن بختيشوع . الاعمى

يحيى (لياسر) اذهب وأعلمْ ضيفنا صاحب البريد (١ أني الساعةَ ذاهبٌ اليه لامر خطير

ياسر نعم سيدي (يخرج)

يحيى تعالَ يا عبدَالله لأُبلغك ما امر الخليفة وما تقولهُ لتارله ملك الفرنجة عند وصولك الى بلادهِ عن مقاصد امير المؤمنين وسطوتهِ وقدرتهِ وعدله فتسترق قلبهُ وتعقد معهُ رباط العهد (٢

عبدالله سمعاً وطاعةً

جعفر ايتِ اقمْ معنا وشاطرنا الافراح

[جبريل ان الليلةَ سيدي ليلةٌ ابدرت في سمائها اهلّةُ الكمال . وتلألأت على مفارقها كواكب السعد والاقبال . وزهت على جبهتها غررُ السعادة ومشارقُ الآمال . فقلتُ فيها من قصيدة :

---

١) هو يحيى بن عبد الله العلوي

٢) تريد بذلك الوفد الذي بعث به هرون الرشيد الى تارله (كارلومان) ملك الفرنجة

اجدك هل تدرين أنّ رُبَّ ليلةٍ كأنَّ دجاها من قرونك يُصبرُ
صبرتُ لها حتى تجلت بغرّةٍ كغرة يحيى حين يُذكر جعفرُ

يحيى افصحَ جبريل افصحَ . فهو طيب النفوس والاجسام يشفي بقيله وادوائه من الاهواء والاسقام (١)

الحسن البثّ معنا يا جَدّ فانك منذ اشهر تعتزل مجالس الغناء والانشاد

جعفر قد اجتمع في منزلنا هذا الجديد وجوهُ شعراء الدولة وأعلام المغنين فلا يذهب السيد ويدع البنين

يحيى اني كبرتُ واشتعل رأسي شيباً وثقلت على منكبيَّ اعباء الاعوام فزهدت بالدنيا وما فيها وتاقت نفسي الى الآخرة . اما انتم فتي ريعان الشباب تتراءى لكم الأيام مشهداً بديع الجمال . وملعباً تلعب فيه الآمال . وان كان كل شيء باطلاً وفانياً . فافرحوا وأنشدوا الاشعار وانا لا أتأخر عن العودة اليكم . تعالَ يا عبدالله

جعفر لا أريد الابتعاد عن عبدالله وقد اقتربت ساعة فراقنا

عبدالله اطلب اليك سيدي ان تأذنَ لهُ ان يرافقني

يحيى الافضل ان يلبث هنا وعمّا قريب اردُّكَ اليه (يخرج يحيى وعبدالله)

الحسين (لجعفر) لا تحزن فسيعود عبدالله بعد هنيهة

جعفر دعني (يذهب الى اخر المرسح ويتبعهُ الحسين)

المشهد التاسع

المغنون السابقون خلا يحيى وعبدالله

جعفر لقد سُررنا بمسامرتكم ايها الكرام في مجالس القصر فاقتبسنا نتسم عرف الصبا الطيبة في بقعة راق نسيمُها وتضوّع عبير ازهارها وتدفقت متسلسلةً مياهُ ينابيعها وانهارها فقد أتعسنا نكم المجال فاركضوا جياد القرائح في المضمار وجاروا بل أفضلوا بحسن القول والغناء البلبلَ والهزار

(١) ما احطناه بقاصلتين [ ] لم يُتَّفَل على المرسح حبّاً بالايجاز . فوجب التنبيه اليه

ياسر (يدخل) قوم من التجار على الباب يُريدون سماع الانشاد والغناء

جعفر إئذن لهم

ياسر ادخلوا (يدخل الرشيد والفضل ومسرور بزي التجّار وهم متنقّبون) (١

الفضل السلام على السلطان

جعفر وعليك السلام. (على حدة) كأنّ الصوتَ صوتُ الفضل بن الربيع وقدّ رفيقهِ قدُّ الرشيد. سبحان مُن ابدع

ياسر تقدّموا ايها السوّال

جعفر اني لاكره لهم أسمَ سوّال وفيهم الاشراف وذوو البيوتات. فقد سمّيتهم الزّوار تالياً تلوّ ابي وجدّي

مروان هذا جعفرٌ في جودهِ حذو برمك فجدٌ لهُ مستطرف واثيلُ
وكان بنو الاعدام يُدعون قبلـه الى أسم الى الاعدام فيهِ دليلُ
يُسمّون بالسوّال في كل موطنٍ وإن كان فيهم نابهٌ وجليلُ
فسمّاهم الزوار سترًا عليهم وذلك من فعل الكرام نبيلُ (٢

جعفر اجدتَ يا مروان في ارتجالك الشعر. وانت يا اسحق غنّنا على اللحن الماخوري الذي علّمكهُ ابليس (٣

اسحق لبيك سيّدي. هاتِ العود (يغني)

الى جعفر سارت بنا كلّ حرة طواها سُراها نحوه والتهجُّرُ
الى واسع للمجتدين فناؤه تروح عطاياه عليهم وتبكرُ (٤

جعفر ما لاسحق في العلم ثانٍ. فهو جنّة الدنيـا وزين الزمان اذا غنّى اجابتهُ المثاني فمنهُ يُجتنى ثمر اللهو وريحان الجنان (٥

---

١) اطلب كتاب الف ليلة وليلة تجد اخبارًا جمة تشابه ما نحن ذاكرون

٢) نقلهُ الميلاوي في كتاب احسن المسالك لاخبار البرامك (١٠١٩ ه = ١٦١٠ م) وهو خط في مكتبة باريس العمومية تحت نمره ٢١٠٢ من المخطوطات العربية صفحة ٩ والشعر ليزيد ابن خالد الكوفيّ. اطلب ايضاً ابن الطقطقى في الفخري ٢١١

٣) روايات الاغاني (الطبعة الثانية ١: ٤٤)

٤) روايات الاغاني (١: ٣٠)

٥) الاغاني (٥: ٩)

الاصمعيّ لله نعمٌ ما الطف مدّاتهِ وليّاتهِ وعطفاتهِ ونبراتهِ وتصليقاتهِ

المأمون لقد خلتُ المرد ينطق بلسان عربي فصيح وذكر اغنّ مليح حتى ظننت الاشجار والاطيار والانهار تجيبهُ (١

اسحق أصغِ لي ياسيّدي بسمعك فقد قلت شعرًا في مدحك

جعفر قل

اسحق والبرمكيُّ اذا تقارب سنُّهُ او باعدتهُ السنُّ فهو نجيبُ
يا آل برمك ما رأينا مثلكم ما منكم إلّا اغرُّ وهوبُ
فاذا بدا ولدُ البرامكِ هيبةً لجلاله ان الجلال مهيبُ
قاد الجيادَ الى المدى فكأنّها رجل الجرادِ تسوقهنَّ جنوبُ (٢

جعفر لله ابياتٌ ما احسنَ اصولها وابينَ فصولها واقلَّ فضولها . اطلب ما تشاء عشرة الاف دينار من الدنانير الحديثة التي جعلتُها على اسمي وسميتها الدنانير الجعفريّة ؟ (٣

اسحق والله ما اخذتُ درهمًا

جعفر ولِمَ ؟

اسحق لانَّ كلامك خيرٌ من شعري

جعفر احفظ شعرًا لذي الرمّة

اسحق احفظُ اكثرهُ

جعفر اصنع على بعضهِ لحنًا لطيفًا لامير المؤمنين فنسألهُ ان يقطعك هذا الشعر (٤

ابو نوّاس (على حدة) ايصطاد اسحق وحدهُ البدرَ والحلل ! لأُنغصنَّ عليهم والله لذّتهم

جعفر ما لك يا ابا نوّاس ؟ لقد اضحكتنا على الطعام حتى قتلتنا . فهات الآن

---

١) هذا مما قيل في غناء اسحق نقلناه عن كتاب الاغاني

٢) الابيات لنصيب (الاغاني جزء ٢٠ : ٢١)

٣) كان على هذه الدنانير اسم الرشيد وعلى حدة اسم جعفر . اطلب امثالًا منها في جدول الدنانير الاسلامية في المتحف العمومي بباريس . والاربلي (١٠٨)

٤) روايات الاغاني (١ : ٢٢٧)

جبريل قل شعرًا بلا مجون ولا فحش (١

ابو نوّاس اني انا الرجل الحكيم بطبعه ... ويزيدني علمي حكايةَ من حكا
اتتبّع الظرفاء اكتبُ عنهمُ ... كيما احدّثَ من أُحبُّ ليضحكا

جعفر ان زندك ليري باول قدح

ابو نوّاس امّا وزنديَ يا ابن يحيى انهُ ... زند اذا استَوْريت سهّلَ مدحكا
ان الاله لعلمهِ بعبادهِ ... قد صاغ جدّك للسماح وبرمكا
تأبى الصنائع هِمّتي وقريحتي ... من اهلها وتعاف الّا مدحكا (٢

جعفر احسنت

ابو نوّاس اسمعوا:

أَرْبِعَ البلا ان الخشوع لبادِ ... عليكَ واني لم أُخُنْك ودادي
سلامٌ على الدنيا اذا ما فُقدتمُ ... بني برمكٍ من رائحين وغادِ (٣

جعفر لا حولَ ولا قوة . . .

المامون قد تطيّرتْ نفسي واشأزّت من ختامك

جعفر نيتَ الينا انفسنا يا ابا نوّاس

---

١) ان الفحش والمجنون من مساوئ شعر ابي نوّاس

٢) الابيات لابي نواس نقلها الميلاوي (صفحة ٤١)

٣) والقصيدة طويلة (في ديوان ابي نوّاس ٧٣) . قال ابن رشيق في كتاب العمدة : من قبيح ما وقع لابي نوّاس الذي اساء فيهِ ادبهُ وخالف بهِ مذهبهُ ان بعض بني برمك بنى دارًا استفرغ فيها مجهودهُ واتقن فيها . فصنع ابو نوّاس لذلك الحين او قريبًا منهُ قصيدة يمدحهُ بها ويقول اوّلها :

اربع البلا ان الخشوعَ لبادِ ... عليكَ واني لم اخنكَ ودادي

وختمها او كاد بقولهِ :

سلامٌ على الدنيا اذا ما فُقدتمُ ... بني برمك من رائحين وغادي

فتطيّر البرمكي واشأزّ ثم قال : نيتَ الينا نفسنا يا ابا نوّاس . فما كانت الّا مُدّيدة حتى اوقع بهم الرشيد وصحّت بهم الطيرة . وزُعم ان ابا نوّاس قصد التشاؤم بهم لشيء كان في نفسهِ من جعفر . ولا اظن ذلك صحيحًا لان هذه القصيدة من جيّد شعرهِ الذي لا اشكُّ ان يُحتفل لهُ . اللهمّ الّا ان يصنع ذلك حيلةً لهُ وسترًا على من قصد اليهِ بذلك » . اطلب ايضًا ترجمة المجلس (١ : ١١١) ومقالات علم الادب (٢ : ٤١)

ابو نوّاس (على حدة) هذا ما اردتُ

اسحق قبّح الله وجهك يا ابا علي ما هذا التشاؤم

ابو نوّاس أقِلْني ايها الوزير

ما ان يُعاب سيّدٌ اذا صبا ولا يُعاب صارمٌ اذا نبا
ولا يُعاب شاعرٌ اذا كبا

المامون انا أُصلح ما فرط منهُ

ان البرامكة الكرام تعلّموا فعل الجميل وعلموهُ الناسا
فهم اذا غرسوا سقوا واذا بنوا لا يهدمون لما بنوهُ اساسا
واذا هم صنعوا الصنائع في الورى جعلوا لها طول البقاء لباسا

الحسن لا فضّ فوكَ يا اخي . انّ الكلام يُطيعك طوع الذلول لراكبه

جبريل فبلاغتك تقضي لك بالتقدّم على من طالت أيّامهم في القريض

المامون والآن تعلمون أيها الحضور أن امير المؤمنين قد عقد للوزير اللواء على خراسان والنهروان وما يجاورهما من البلدان حيث اضطربت الشيعة وقام قائم الثورة ليخمد الوزير نارها ويردّ المياه الى مجاريها (١ . فمن منكم ايها الشعراء يقول في هذا ابياتاً على قافية أقترحها الآن عليه ؟

اشجع لبّيكَ . سمعاً دعوتَ

المامون انت يا اشجع . ان القوافي تتسابق الى خواطرك والمعاني تتغاير في الانقياد لاوامرك

اشجع ان القوافي كالنساء النوافر . ان دعوتها جمحتْ وان تبعتها سبحتْ . لكني ساقودها اليوم بالرغم عنها بقصيدة عابرة الابيات

المامون اي قافية يا حسن ؟

الحسن على قافية اسمه اشجع

جعفر احسنتَ . على حرف العين

اشجع واي مجرىً تحبّ

---

١) الطبري (٣ : ٦٤٤)

الحسن المتقارب

اشجع حملتني على الوعر التردُّد. لكن لا باس (سكوت قليل)

يريد الملوكُ مدى جعفر ولا يصنعون كما يصنعُ
ولا يَرفع الناسُ من حطَّهُ ولا يضعون ـ من يرفعُ
فا دونَهُ لامرئٍ مطمعٌ ولا لامرئٍ غيرهُ مقنعُ

المامون ادخلت (يدخل يحيى)

اشجع تلوذ الملوكُ بابوابه اذا نالها الحدَثُ الافظعُ
بديهتُه مثل تدبيره متى رُمتَهُ فَهو مستجمعُ
وكم قائلٍ اذ رأى ثروتي وما في فضول الغنا اصنعُ
غدا في ظلال ندى جعفرٍ يجرُّ ثياب الغنى اشجعُ

الحسين احسنتَ. هذا من بديع القول

المامون ومن اسلسه وارقه

اشجع فقل لخراسانَ تحيا فقد اتاها ابنُ يحيى الفتى الاروعُ (١

جعفر لقد اتيتَ من النظم بما يُزري باللآلْ ومن المعاني بما يُحقرُ السحر الحلالْ
يا غلام أعدَّ لكل من حضر مجلسنا عشر بِدَر

الحسن من يحدو لنا حدوًا جاهليًا بليغًا في بيعة ابن امير المؤمنين

الاصمعيّ الاصمعي من عاشر سنينَ طوالًا سكّان البادية وحفظ اشعارهم واخبارهم واسرارهم وادوارهم فلا تخفى عليه خافية

جعفر قل انّا لك من السامعين

الاصمعي لما اتانا خبرٌ مشهرُ اغرُّ لا يخفى على من يبصرُ
قلت لاصحابي ووجهي مسفرُ بايع للمامونِ هذا جعفرُ
وقلّدَ الامرَ الاغرَّ الازهرُ نورَ الساكين الذي يُستمطرُ

١) الشعر لاشجع (الاغاني ١٧ : ٣٦)

بوجهه ان كان عامٌ اخبرُ سُرَّت به أسرةٌ ومنبرُ
وابتهج الناس به واستبشروا (١

جعفر ارى خاطرك طاوع لسانك وبيان الناس تحت بيانك فانتَ بالنظم حري وعبدالله المامون بالمدح جدير

المامون لله درُّكَ يا اصمعي لقد برَّزتَ على اهل زمانك

جبريل عش ما بدا لك في الدنيا فلست ترى في الناس منهُ ولا من علمهِ مثلا (٢

جعفر صدقتَ

المشهد العاشر

الحاضرون (يدخل ياسر ثم اعرابي)

[ياسر سيدي على الباب اعرابيٌّ يدَّعي أن لهُ شعرًا في الامير (٣

جعفر أدخلهُ

ابو نوَّاس دعني امازحهُ فيضحكنا فاعوّض عمَّا فرط مني

جعفر لا بأس (يدخل الاعرابي)

ياسر تقدَّمْ

الاعرابي السلام على امير المؤمنين

ابو نوَّاس اخفض عليك ما تقول

الاعرابي السلام على الوزير جعفر سلطان الخلافة العباسيَّة وعماد الملَّة الاسلاميَّة

ابو نوَّاس الانَ قاربت . من اين اقبلت يا اخا العرب ؟

الاعرابي من قضاعة

ابو نوَّاس اتعرف الذي يقول: اذا افتخرت قضاعةُ في قديم ..

الاعرابي كذبت وحقّ الكعبة. قالها الشاعر في خزاعة

---

١) الحدو للنمازي (الاغاني ١٧ : ٧٨) مع بعض التصرف . وهو طويل

٢) الشعر للحسن بن مالك (مجاني الادب ٥ عدد ٣٦٩)

٣) اطلب من هذا المشهد ما جاء في المسعودي (مروج الذهب ٦ : ١٢٧ الخ) والاتليدي (١٨١) والمجلة الاسيوية (Journal Asiatique) سنة ١٨٥٣ : ومجاني الادب (٤ عدد ٢١٨)

اذا افتخرت خزامةُ في قديم وجدنا فخرها شربَ الخمورِ
وباعت كعبةَ الرحمن جهرًا بزقّ بئس مفتخرُ الفجورِ

الاصمعي صدق والله الاعرابي

الاعرابي (لابي نؤاس) انتَ لستَ الامير . انك يا ساقع الذقن لجلفٌ جاهل فلا عدتُ اجيبك (يضحكون)

جعفر دعني اخاطبه . نحن يا اخا العرب ندماء جعفر . قل لنا لِمَ اتيتَ من صدر البادية ؟

الاعرابي قصدت هؤلاء الاماجدَ الانجادَ الذين اشتهر معروفهم في البلاد حتى فاق ذكرهم الخلفاء القائمين على رقاب العباد

جعفر ومن هم ؟

الاعرابي البرامكة (في كل هذا المشهد اشارات من الفضل للرشيد)

جعفر يا اخا العرب إنَّ البرامكةَ خلقٌ كثير احتازوا على الوزارة والكتابة والسيف والقلم . فهل افرزتَ منهم احدًا ؟

الاعرابي اطولهم باعًا واسمحهم كفًّا بعد يحيى

جعفر ومن هو ؟

الاعرابي سلطان الدولة العباسيَّة جعفر

جعفر إن جعفرًا جليلُ القدر اذا جلس مجلسًا لا يحضر مجلسهُ الّا العلماء والفقهاء والادباء والشعراء . أعالم انت ؟

الاعرابي لا

جعفر أتقيه ؟

الاعرابي لا

جعفر وردتَ عليه بكتاب ؟

الاعرابي لا

جعفر غرَّتك نفسك . بأي ذريعة تتقدمُ على الوزير وهو ما عرَّفك عنهُ من الجلال ؟

الاعرابي والله ما قصدتهُ الّا لاحسانهِ المعروف وكرمهِ الموصوف وشعرٍ قلتهُ فيهِ

جعفر يا اخا العرب نحن كما قلتُ خوّل جعفرٍ وفينا كل شاعر فصيح وراوية بليغ فانشدنا ابياتك فان كانت تصلح أن تلقاهُ بهـا أشرنا عليك بلقائهِ والّا اعطيناك شيئاً من مالنا

الاعرابي اتفعلون ؟

جعفر قل

الاعرابي يا سـائلي عمّا أُخبّرهُ عن جعفرٍ كرماً وعن شيمـهْ
ان ابن يحيى جعفرًا رجـلٌ بسيطَ السماحُ بلحمـهِ ودمـهْ
فعليـهِ لا ابدًا محرَّمـةٌ وكلامـهُ وقفٌ على ذممـهْ
وترى مسابقـه ليدركهُ بمكان حذو النعـل من قدمهْ (١

جعفر وان قال لك جعفر هذه الابيات اخذتها عن افواه الناس فأنشدني شعرًا في اخي الفضل

الاعرابي اذن اقول :

لك الفضلُ يا فضلَ بن يحيى بن خالد وما كلُّ من يُدعى بفضلٍ لهُ فضلُ
رأى الله فضلًا منك في الناس واسمًا فسمّاك فضلًا فالتقى الاسم والفعلُ

جعفر لطيف . لكن قد ولد للفضل امس مولود وجعفر يَدّعي الشعر فان قال لك : قد عملتُ في ابن اخي بيتًا أرتج عليَّ تمامهُ فماذا تقول ؟

الاعرابي وما هو المصراع اعزّك الله ؟

جعفر ويفرح بالمولودِ من آل برمكٍ

الاعرابي بغاةُ الندى والسيف والرمح والنصلِ
وتنبسطُ الآمـال فيه لفضلهِ ولاسيما ان كان من ولد الفضلِ (٢

جعفر احسنتَ . وان قال لك جعفر : قل بيتين في كرم ابي يحيى ؟

الاعرابي قلتُ :

سألتُ الندى هل انت حرّ فقال لا ولكنني عبـدٌ ليحيى بن خالدِ

---

١) روايات الاغاني (١ : ١٩٤)

٢) روايات الاغاني (٥ : ٢٩) والبيهقي في كتاب المحاسن والمساوئ (٤٤٦)

نقلت شراء قال لا بل وراثةً توارثني عن والدٍ بعد والدِ (١

جعفر وان قال لك جعفر ممتحناً: قل ابياتاً في مدح اعمال الوزير وقيامه باعباء الدولة فماذا تقول وقد رمقتك الابصار وامتدت اليك الاعناق واحتجت ان تناضل عن نفسك ؟

الاعرابي والله ان زادني جعفرٌ امتحاناً بعد هذا لاقولنَّ ابياتاً ما سبقني اليها عربي ولا اعجمي ولئن زادني بعدها لاجمنَّ قوائمَ ناقتي واجلهما في فم جعفر ولارجعنَّ الى قضاعةَ خاسراً ولا أبالي

جعفر أسمعني الابيات:

الاعرابي قبائل من اقصى وادنى تجمّعت فهنَّ على آل الوزير كلولُ
تمرّ ركابُ السَّفر تثني عليهم عليها من الخير الكثير حمولُ
فانت جبينُ الملك بل انت سمعهُ وانتَ لسانُ الملك حيث تقولُ
وللملك ميزانٌ يداكَ تقيمهُ يزول مع الاحسان حيث يزول (٢

جعفر خاطرك كالبرق او اسرع وكالسيف او اقطع . انا جعفر سل ما تشاء

الاعرابي سألتك بالله انكَ هو

جعفر انا هو

الاعرابي فأقلني

جعفر اقالك الله . اذكر حاجتك

الاعرابي عشرة آلاف درهم

جعفر ازدريتَ بنا وبنفسك . تعطى عشرة آلاف في عشرة آلاف

ابو نوّاس يا مولاي هذا اسراف . ياتيك جلف من اجلاف العرب فتجزيه بهذا المال

جعفر استحقَّهُ

الفضل (على حدة) إسراف

ابو نوّاس اقسمت عليك إلّا اخذتَ سهماً من كنانتك وركّبته في كبد القوس واومأتَ الى الاعرابي فان ردّ من شعه ببيتٍ من الشعر وإلّا فاستطف

---

١) ابن عبد ربه في العقد الفريد (١ : ١٠١)
٢) الاغاني (١٧ : ٧٧)

مالك ولهُ في بعضهِ كفاية

جعفر (ياخذ قوساً) ردّ سهمي ببيت من الشعر

الاعرابي لقوسك قوسُ الجودِ والوتر والندى وسهمكَ سهمُ العزّ فارم بهِ فقري

جعفر اجاد والله

اذا ملكت كفي نوالاً ولم أُنل فلا انبسطت كفّي ولا نهضت رجلي

على الله اخلافُ الذي قد بذلته فلا مبقي لي بخلي ولا متلفي بذلي

أروني بخيلاً نال مجداً ببخلهِ وهاتوا كريماً مات من كثرة البذلِ

يا غلام اعطِ الاعرابي مايةَ الف درهم لشعرهِ ومايةَ الف اخرى ليكفينا شرّ قوافيهِ [وضاف صلة كل من حضر مجلسنا (دخل منذ زمن يحيى وعبد الله والعلويّ وهذان في طرف المجلس على حدة)

يحيى وللحضور من مالي مثلها

الفضل هذا اسراف

الرشيد كم برمكي (١

جعفر صوت امير المؤمنين

يحيى انتَ هنا سيدي ؟

الرشيد (يكشف الثام) احسنتم . ان نفوسكم لشريفة تعلو كرماً على الملوك

يحيى كيف اخفيت علينا وجودك ؟

الرشيد اردتُ ان ازور منزلكم سراً كيلا أُنغّص عليكم فرحكم . ما اجمل الدار . كم انفقتَ عليها ؟

جعفر عشرين الف الف (٢

الرشيد يا مسرور احمل غداً خراج مصر لاخي جعفر جزاء ازعاجنا اياهم ودخولنا بغير اذن

جعفر سيدي

الرشيد اسمعونا شيئاً من الشعر والغناء

---

١) من الامثال السائرة . اطلب الميداني

٢) ابن الاثير (٦ : ٦٣) والطبري (٣ : ٦٧٣)

جعفر قل يا ابا نواس شعراً في امير المؤمنين فانك حاضر القريحة

ابو نواس (بارتباك) اقول في الوزير

جعفر لا بل في امير المؤمنين

الحسن انا اقول:

هارون يا ابن الاكرمين منصباً ... لما اتيت جعفراً منقبا
طابت لنا ريح الجنوب والصبا ... وتزل الغيث لنا حتى ربا
فرحباً ومرحباً ومرحباً (١

الرشيد وبك مرحباً يا بني

المامون هذا الحسن بن جعفر شريكي في الدرس والمطالعة قد اتخذته لي اخاً ورفيقاً طول العمر

الرشيد حسناً صنعت. كونا اخوين على اتباع العدل والحق ثابتين. وانت يا اخي جعفر رايتُ الناس يبنون القصور في الدنيا وانت تبني الدنيا في قصرك

جعفر هذا من كرم سيدي امير المؤمنين. ادام الله عزّهُ ومكانهُ واذلَّ كل عدوّ لحقهِ وسلطانهِ

[الرشيد من يصفُ هذه الدار ؟

جبريل قريباً دعوتَ

الرشيد قل : .

جبريل قصرٌ لوَ انَّك قد كحلتَ بنورهِ ... اعمى لعاد الى المقام بصيرا
نُسي الصبيح مع الفصيح بذكره ... وسما فساق خورنقاً وسديرا
لو ان بالايوان قوبل حسنهُ ... ما كان شيئاً عندهُ مذكورا
أعيت مصانعهُ على الفرس الأولى ... رفعوا البناء واحكموا التدبيرا
ومضت على الروم الدهورُ وما بنوا ... لملوكهم شبهاً لهُ وظهيرا
اذكرتنا الفردوسَ حين أريتنا ... غُرَفاً رفعتَ بناءها وقصورا (٢

الرشيد احسنت يا جبريل لكن منزلاً كهذا يكفي ساكنيه شرَّ المراصم والعقاقير

١) الشعر للسماني مع بعض التصرف (الاغاني ١٧ : ٧٨)

٢) الشعر لابن حمديس (مجاني ٦ عد ٨٥)

ويبرئهم من الاسقام بغير طبيب

جبريل باذن الله سيّدي وانا اكون عبدًا خالص الطاعة

الرشيد بل صديقًا صادق الوداد. يا مسرور احمل غدًا الى طبيبي ثلاثًا من اجمل الجواري الروميّات اللواتي سبيناهنّ من هرقلة

جبريل سألتك بالله ان تجيز لي السير على شرائع ديني

الرشيد وما ذاك؟

جبريل لا يجوز لنا معشر النصارى ان نتزوّج باكثر من امرأة واحدة فما دامت حيّة لا تاخذ غيرها (١

الرشيد انك لعفيف أكرمْ بك. ماذا تريد بدل هذا؟

جبريل الاجازة للبطريق طيماثاوس ليجدّد بناء كنيسة بغداد

الرشيد اجزتُ]. أسمعونا شيئًا من الغناء (يقبّل جبريل يد الرشيد)

جعفر ان امير المؤمنين حَفِظ حِفْظ الصبا شعر ذي الرمّة فاذا سمع فيه غناء اطربه (٢

اسحق سيدي

الرشيد اتعرف قول ذي الرمة «امن ميّةَ الطللُ الدارس»

اسحق نعم يا امير المؤمنين

الرشيد غنّنا عليه نوبةً مطربةً

اسحق هات العود يا غلام (غناء)

أمن ميّةَ الطللُ الدارس ألمّ به العاصف الرامسُ
وعهدي بهِ وبهِ سكنةُ وميّةُ والأُنس والآنسُ

الرشيد لطيف. لولا ما سبق لاسحق على السنة الناس واشتهر بالغناء لوليتُهُ القضاء فانهُ اولى واعفّ واصدق واكثر دينًا وامانةً من هؤلاء القضاة ولكنهُ اشتهر

---

١) اطلب ابن المكبن (١٢٢) وتاريخ مختصر الدول لابن العبري (طبعة بيروت ٢١٤) وهو يذكرها في اخبار جيورجيس بن بختيشوع طبيب المنصور. اطلب ايضًا (اغاني ٦ عدد ٢٦٨) والمشرق (٨: ٩٩-١٠٠)

٢) روايات الاغاني (٤: ٣٢٩)

بالغناء وغلب على جميع طرقهِ مع انهُ اصغرها عندهُ — يا غلام اعطِ اسحق جائزتهُ (١

جعفر ان راق باعين امير المؤمنين سألتُ لاسحق حاجةً تقوم عندهُ مقام كل جائزة

الرشيد وما هي ؟

جعفر قطيعة تقطعهُ اياها سهلة ولا منفعة فيها لاحد

الرشيد قل

جعفر تقطعهُ شعر ذي الرمة يغني فيهِ ما اخطـاره وتحظر على المغنين جميعاً ان لا يداخلوه فيهِ

الرشيد ما سأل اسحق شططاً . اقطعتُك سؤلك . ويحك يا اسحق من ارشدك الى هذا ؟ فقد كسبتَ الساعةَ مائة الف بمائة الف

اسحق أتأذنُ لي بالتوثق ؟

الرشيد وتربةِ المهدي لا أثبتُ بشيءٍ ولا بروتُ غيرك في شعر ذي الرمة (٢

الفضل ان لابن جامع ومخارق شعراً لطيفاً على لحن حجازي

الرشيد أنشدا

ابن جامع ومخارق (غناء) :

ليت هنداً أنجزتنا ما تعدْ وشفت انفسنا ; مما تجدْ

واستبدّت مرّة واحـدة انما العاجزُ من لا يستبدّ(٣

الرشيد (على حدة) إي والله اني لعاجز

جعفر ان شاء امير المؤمنين فلتحمل الدواة الى حضرتهِ ليوقع على ما اجاز بهِ لمن حضر مجلسنا

الرشيد افعل (يكتب كلمتين)

جعفر (يصفق) ياسر هاتِ الجوائز

---

١) الاغاني (٥ : ٥٢) وشرح المجاني (١ : ٦٨)

٢) روايات الاغاني (١ : ٢٣١)

٣) مقدمة ابن خلدون (اطلب التوطئة ص ١٠) والاغاني (٥ : ٢٢)

ياسر تقدَّموا (يدخل ثمانية من الخدم يحمل كلٌ منهم صينيَّة عليها دنانير وفوقها غشاء (١ وان صعب الامر فليقل جعفر: احمل الجوائز لمن حضر — نعم —

الرشيد اودعكم السلام (لجعفر) وانت يا اخي لا تتأخَّر عليَّ غدًا صباحًا (وليحيى) وانت ابتِ مع عبدالله وجميع من حضر للمبايعة واعطاء رسالتي يحملها رسولي الى الامبرذور

يحيى نعم سيدي (يخرج الرشيد فينظر العلوي محدقًا به ليستعرفهُ . ويتبعهُ الجميع)

المشهد الحادي عشر

العلويّ . عبدالله (وياسر مختفٍ على حدة)

العلوي قد خلا لنا المكان

عبد الله ابتِ

العلويّ كم من مرَّة رأيتك من كوَّة حجبي فحنَّ قلبي ودمي واضطربت حُشاشتي لما كنتُ اجدُ فيك من ملامح وُلد علي ابن ابي طالب. لكني كنتُ اظنُّكَ تحت اطباق الثرى رفاتا

عبدالله سبحان من يحيي العظامَ وهي رميمٌ ويجمع شملَ من فرَّقهم جورُ الظالمين

العلويّ من لي برؤية اخيك الاصغر موسى ان كان بعدُ من الاحياء

عبد الله فعسى الذي اهدى ليوسف اهلهُ واعزَّهُ بالسجن وهو اسيرُ ان يستجيب لنا ويجمع شملنا والله ربّ العالمين قديرٌ(٢

العلويّ سمع الله دعاءك يا ابراهيم (عبد الله يقبّل يد ابيهِ العلويّ وهذا يجعل يده اليسرى على رقبة ابنهِ . سكوت)

المشهد الثاني عشر

يحيى . جعفر . العلوي وعبد الله (على حدة) وياسر (مختفٍ)

جعفر ما الطفَ سجايا الرشيد وارقَّ شيمهُ واعلقهُ بمحبَّتنا . ارأيت ابتِ ما اظهرهُ

١) اغلبدي (١٩٧) والمجاني (٣ عد ٢٢٣)

٢) اغلبدي (٢٢٠)

من الكرم ولين الكلام وما غمرنا به من العطايا السنيَّة ؟

يحيى ان دخولهُ علينا مع الفضل بن الربيع متنكّرًا قد اقلق فكري

جعفر لا عجبَ إن من عادات الرشيد اذا شغلهُ امرٌ ان يلبس ليلًا زيّ المواصلة او المتطفلين فيدور في اسواق بغداد وازقتها لعلَّهُ يحصل لهُ نكتة لطيفة تُزيل همّهُ . كم من مرَّة رافقتهُ مع مسرور سيَّاف نقمتهِ فحدث لنا من الغرائب التي لا يزال يتداولها الخاصّ والعام فيزيدون فيها ويبالغون (١

يحيى لكنَّهُ قد اختار يومَ دشّنا دارنا فاجتمع فيها خاصَّتُنا واصحابُنا ومدحونا بما لم يُمدح بهِ الخليفة . . اتظنّ أنَّ الرشيدَ مع عظم ما هو عليهِ من عزَّة الملك وسكرة الاقتدار لا يُنكرُ ما رأى وما سمع . سيما واني ارى عقارب السعاية والحسد تدبّ الى مهادنا من كل جانب . فهذا الفضل بن الربيع عدوّ لنا وبتو قحطبة اخوالك من اعظم الساعين علينا (٢

جعفر ان قدرنا وسلطاننا لأعلى من ان يسمو اليهما كيدُ كائد او بغضُ حاسد . وعلى كلٍّ فان زيارةَ الرشيد ليست الَّا عُربون ما كنَّه فؤادهُ من الحبّ لنا والاكرام

يحيى جيّد الظنُّ ان كان صادقًا . لكن أرأيتَ كيف كان يرشق الرشيدُ ضيفنا العلويَّ باللحظات

جعفر رأيتُ ومرادي ان تُطلقَ سبيل العلويّ قبل ان يستفحل الامرُ فيسعى بهِ الساعون

يحيى وهذا مرادي . انظر اليهما (يتقدَّم) لا تُنقدهما لذَّة التلاقي بعد السنين الطوال

العلويّ (كأنَّهُ يفيق) اليقظةُ ام منام ؟

يحيى يقظةٌ . هو ابرهيم ابنك وقد لقَّبتهُ عبد الله لئلَّا يطَّلع احدٌ على سرّهِ عندما خلصتهُ من ايدي قاتليه فكبر وترعرع ولا يعرف احدٌ أهو من ولدي ام لا

العلوي (يقبّل ابنهُ) كانت لي حسرتان في وحدتي وهما فقد ابنيَّ ابرهيم وموسى

١) اقرأ كثيرًا من حكايات الف ليلة وليلة

٢) اطلب ابن خلدون في التوطئة (ص ١٠)

الصغير الذي سقط مني في الطريق

جعفر جمع الله شملك بموسى وردّه كما ردّ ابراهيم

يحيى على انّا لا نكتفي بهذا فحفظاً للعهود التي اعطيناكما على انفسنا يوم كتب لك الرشيد كتاب الامان (١ قد عزمنا الآن على ان نطلق سبيلك مغتنمين فرصة البايعة والاعياد التي تقام في بغداد فستسافر صباح السبت بعد غدٍ اول صفر الى خراسان حيث يلحق بك ابني جعفر . اما انت يا عبد الله فاركب غداً بعد استلام الهدايا والتحف التي اعدّها الرشيد لامبراذور الفرنجة وسر مسرعاً الى حيث انت سائر

عبد الله كيف اسافر وأدع ابي ساعة عرفتهُ ؟

يحيى لا بدّ من ذلك لان خلاص ابيك متعلق بك

جعفر وانا ذاهب اكتب لك رسالةً الى اخي الفضل في خراسان ثم اسير لاحقًا بك

العلويّ لا ادري ما اقول لكم ولا ما اقول فيكم يا آل برمك. انكم شفاء الدهر وغياث جدب العصر. انتم مفزعُ الملهوفين وملجأُ الطالبين. فما بقي الّا الدعاء ان يُنسيَ الله في اجلكم ويجعل اعداءكم موطئاً لاقدامكم واكون وذويَّ من السوء فداءكم

يحيى اذهبا بسلام فقد مضى من الليل ثلثاه

(يخرج الجميع ويتقدم ياسر وكان مختفياً)

ياسر قد فزتُ بغيتي واطلعتُ على بعض اسرارهم

(تم الفصل الاول ويليه الفصل الثاني)

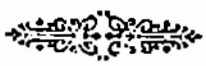

١) الفخري (٢٦٦)

نظر عام في اخصّ حوادث العام

للاب لويس رتزفال اليسوعي (فتمنّة)

واعلم انّ الدين والهيئة الاجتماعيّة لا يقوم لهما قائم ما لم يَسعَ اصحابهما بجمع قواهم لمعاكسة عدوّهما جميعاً. ولهما كليهما عبرةٌ في حزب الاشرار الذين يحملون على نقض اركان سلطتهما باتّفاق الكلمة ووحدة العمل. أفلا ترى ما صنعوا لمّا حُكم بالإعدام على احد زعماء الفوضويين رجل السوء الشقيّ فرّير فانّهم قلبوا العالم ظهراً لبطن للمدافعة عنهُ. وهاك خلاصة هذه المأساة المحزنة

في ١٥ حزيران اذ رأى الاسبانيُّون حملات المغاربة مرّة بعد اخرى على املاكهم في شمالي المغرب عزموا على ردّ القوّة بالقوّة. ففي ٩ تموز صارت المناوشات الاولى بين الفريقين في مليلة. ثم التحم القتال بينهما في جوار تلك المدينة في ١١ منهُ فقُتل من الاسبانيين ١٥ رجلاً وجُرح ٢٨. ثم تكرّرت الوقائع في ٢٥ منهُ فكان عدد القتلى الاسبانيين ٣٠ والجرحى ٥٦ فأرسل قائد الحملة يطلب المساعدة من دولته. ووقعت في اثناء ذلك ملاحم جديدة في ٢٤ و٢٥ من الشهر فقد فيها الاسبانيون ٢٦٠ جندياً مع عدّة ضبّاط الّا انّ المراكشيين أُصيبوا باضرار جسيمة فكان عدد قتلاهم ٣٠٠ وجرحاهم الفاً وفي ٢٧ من الشهر جرت موقعة اخرى قُتل فيها الجنرال بنتو وبعض الضبّاط وبقيت الحرب سجالاً بين الفريقين الى ٢٨ آب حيث وصلت الجنود الاسبانيّة لمساعدة اصحابهم فتمكّن الاسبانيُّون من الغارة على العدوّ وقامت الحرب على ساق حتى دارت رحاها على المراكشيين

وفي تلك الغضون انتهز اهل المشاغب في اسبانية الفرصة لنشر الفتن وكان في مقدّمتهم الفوضويّ فرّير الماسوني المعادي لكلّ المبادئ الوطنيّة ولتجنيد الجيوش فبدلاً من ان يحضّوا مواطنيهم على الحميّة والآثار لقتلاهم اخذوا كالفوضويين الفرنسويين في سنة ١٨٧٠ يشنّون الغارة على وطنهم ويسدّدون نبالهم الى نظام بلدهم ويتحاملون على الاكليروس ورجال الدين ولم يزالوا يسعرون نار الفتن حتى بلغت في الشرّ نهايةً تقام الاوباش واخذوا في ٢٣ تموز يعيثون في عاصمة المملكة ولاسيما في بلاد كاتالونية حيث أعلنوا بحصار مدينة برشلونة وكان اهل الاشغاب لا يَسمعون ببعض الاخبار المكدّرة

التي تنبئ بها الانباء البرقية الا يزيدون سوءاً ويتعرّضون للحكومة ليمنعوا تجنيد الجيش ثم اخذوا يجولون في الاسواق فينهبون ويسلبون ورأوا ادیرة الرهبان فانهم باردة لا يستطيع اهلها الدفاع عنها فساروا اليها كالذئاب الكاسرة ودخلوها كالجيوش الظافرة فضربوا وسلبوا وأحرقوا وانتهكوا حمى المقابر فنبشوها واخرجوا من القبور موتى الرهبان والراهبات فشوّهوها وسحبوها في الشوارع وعلّقوها في اخشاب المنابر ثم هجموا على الاحياء فقتلوا بعضهم وانتزعوا بعضهم بالجراحات كنيس الفرنسيسكان الاقليمي (١ فدامت هذه الحالة السيئة ثلاثة أيام وفرّ من منجم الفتنة ومنبع الشغب حتى تمكّنت الجنود النظامية من اخماد النائرة وطمس معالم الثورة. فاراد الملك ان يحاكم اولئك الاشقياء حكماً صارماً ولاسيما زعيمهم فرّ واعلن بالاحكام العرفية على جهات كاتلونية. فسعى اهل الفوضى بان يعلنوا بالاعتصاب العام في ٢ آب الّا انّ مساعيهم ذهبت ادراج الرياح ولم تزل الجنود تتعقّب آثار الجناة حتى اخمدت نظى الفتنة واعاد الملك لكاتلونية حقوقها الدستورية

وكان اصحاب الدولة في اثناء ذلك اوقفوا فرّ وألقوه في الحبس لتجري في حقّه المحاكمة الشرعية فاحسّ بذلك الماسون حتى ارادوا ان يظهروا نفوذهم العجيب في اربع جهات العالم فكانت اوامر زعمائهم شبه الشرارة الكهربائية اهتزّ بها المحفل دفاعاً عن رجل اثيم قتّال خائن لوطنه وعدوّ كل سلطة ودين

(١ وقد شعر اليسوعيون والدومنيكان بما سيأتيهم هؤلاء من النظائم فأسرعوا ونقلوا ادبرتهم لكل من يطلب لنفسه اماناً في المدينة فأتى كثيرون وسلّموا اسلحتهم ليدافعوا عن حرمه ربما تقوى الجنود المنتظمة على الثورة. فلمّا قدم الاشرار للنهب والحريق ساء ظنهم في تلك الادبرة ورأوا من اهلها ما لم ينتظروه من الدفاع فرجعوا خاسرين وقد لام اصحاب الفوضى في جرائم الرهبان على ما فعلوا كأنهم فضّلوا ان يُقتل الابرار كما تُذبح الخراف في المجازر وعدُّوهم بعملهم كأعداء الانسانية والوطن. ومن المضحكات ان جريدة « الطان » وصفت وقتئذٍ دير اليسوعيين « كقلعة حريزة فيها الذخائر الحربية والمدافع التي نصبوها فوق سطوحهم مع ٥٠٠ جندي » تأمل

وان سألت وايّ ذنب اقترفهُ الاكليروس ليتحامل عليه هؤلاء الانذال أجبتُ انّ لا سبب غير عداء الماسون والفوضويين للدين . ولعلّهم تصوّروا انّ الملك الفونس وزيره الكاثوليكيّين قد دفعها لحرب المراكشيين اهل الدين وان روميه والبرو بندا هما لمتان اقتناها بالمال. وهذه الاقوال لم يستحي الجنرال داماد الفرنسويّ ان يُطلق بها لاحد كتبة الجرائد وكان كذبهُ هذا داعياً للامته وسبباً لنزله

وابتدأت الحركة في باريس في ٨ تشرين الاول تحت نظارة « الشرق الاعظم » فجرت في تلك العاصمة مظـــاهرات لم تأتِ بجدوى. وفي ١٣ من الشهر حُوكم فرّير وقُضي عليه في مجلس حربي بالموت فرُمي بالرصاص في خنادق منجويش بعد أن رفض قبول الاسرار المقدَّسة. ففي مساء ذلك النهار عاد الفوضويون الى مظاهراتهم في باريس قرب سفارة اسبانية فجرت فيها الدماء وقُتل احد الشُرَط وجُرح ٦٤ شخصاً. وتكرّرت تلك المظاهرات في غد ذلك اليوم على يد الدارسين الفوضويين. وفي ١٥ من الشهر أفجر اصحاب الفوضى في برشلونة قنبلةً وفي ١٧ منهُ عاد فوضويو باريس الى مظـاهراتهم فتألّف منهم موكب ٣٠,٠٠٠ شخص فـاروا في شوارع المدينة تحت حراسة الشرط وهم يصرخون « فلتسقط التلنسوة » يريدون ارباب الدين

ثم بلغت اوامر زعماء الماسونية الى الجهات فأوعز رؤساء المحافل الى اصحابهم بان يقتفوا بآثار فوضى باريس ففعلوا في كل انحاء فرنسة اولًا ثم في ايطالية وخصوصاً رومية (مع انَّ الحبر الاعظم كان طلب الصفح عن فرّير من الحكومة الاسبانيـة) ثم في المانية وانكلترة والنمسة وروسية ومصر حتى بلادنا السوريّة حيث قام الفرمسون وقعدوا لتعظيم رجل لم يعرفوا اسمهُ قبل ذلك ببضعة اسابيع فجعلوه بطل العالم وفريد عصره وفخر الانسانية فسوّدوا جرائدهم بمدحهِ وشخّصوا آثارهُ الموهومة على المراسح وشتموا حكّامهُ ونسبوا الظلم والجور لملك اسبانيـة ولطّخوا باقذارهم ثوب الاكليروس وكل ذلك في امر لم يكن لهم فيهِ لا ناقة ولا جمل وانما فعلوهُ كآلات جامدة يحرّكها من شاء على خاطرهِ. فيا لله أيبلغ البشر الى هذا الحدّ من الجنون فيستحقُّون الويل الذي قال بهِ الربّ في اشعيا (٥ : ١٨—٢٤) : ويلٌ للذين يجرُّون الاثم بحبال الباطل والخطيئة بمثل امراس العَجَلة ... ويل للقائلين للشرّ خيرًا والخير شرًّا الجاعلين الظلمة نورًا والنور ظلمةً والحلو مرًّا والمرّ حلوًا... المزكّين المنافق ... فيكونون كالعصافة التي تأكلها النار .. وزهرهم يتناثر كالتراب ». ومن اراد معرفة فرّير والوقوف على اعمالهِ فليراجع اقوالهُ الاثيمة في حقّ الوطن والجنديّة والآداب الانسانيـة في اعداد البشير من ٩ تشرين الاوّل الى ٦ من تشرين الثاني. وجهينة الاخبار عندنا وزير اسبانيـة حيث اعلن امام العالم بقولهِ « انَّ فرّير لم يُقتَل لاجل آرائهِ (الفاسدة) ولكن لسبب المشاغب التي كان هو سببها » وخلاصة القول انَّ مسألة فرّير كانت لشبـه على العالم بالكابوس

الذي يزعج النائم فيهبُّ من منامهِ ويتحقَّق انَّ لا داعي للانزعاج والقلق بل يضحك من اضغاث احلامهِ. على انَّ هذا الحادث كشف لاعين الجميع قوَّة الماسونيَّة العموميَّة التي هي اشنع قُرح ينكأُ في جسم الهيئة الاجتماعيَّة في ازمنتنا حتى كاد يتلفهُ

*

دَعنا الآن نحوّل رائد الفكر عن هـذا المنظر السيء لنسرّح الابصار في ما هو ادعى الى التعزية نريد الامور السارَّة التي عزَّزت في العالم شرف الدين وانعشت في الامم روح التقدُّم وزادت الشعوب رفاهية وسعدًا

واوَّل ما نذكرهُ من ذلك أن اهل الفضل لم ينـاموا ويفشلوا بازاء حركة الاشرار فانَّ الكاثوليك اخذوا في بلاد مختلفة يقفُون آثار اخوتهم في بلجيكة وهولندة ويقتدون بمثل اساقفة فرنسة الذين سبق لنا وصف اتحادهم لمقاومة اعداء الدين فتراهم يجمعون قواهم ضدّ الاحزاب الشريرة وينضمُّون كالبناء المرصوص لردّ غارات الشيع الماسونيَّة

ومما زاد الكاثوليك تحمُّسًا مـا اعلن بهِ الحبر الاعظم من تطويب جان دراك (اطلب المشرق ١٢ : ٣٢١—٣٣٧) تلك الفتاة نابغة زمانها وداهية عصرها التي كانت بازاء وطنها بمثابة دبّورة او يهوديت لشعب اسرائيل قامت وهي سليلة بعض القرويين الامّيين فخلّصت بلادها من ربقة الاعداء واعادت افرنسة عزّها وفخرهـا. وقد اراد إمام الاحبار ان تكون هذه النعمة الجديدة التي يمنحها لفرنسة كعربون محبَّتهِ لدولةٍ لا يزال يعتبرها كابنة الكنيسة البكر رغمًا عن معاداة حكومتها للكرسي الرسولي. فجعلها في سماء بلادها كقوس النمام وآية السلام وكقدوة البرّ والقداسة مع التفاني في سبيل الوطن المقدَّس بازاء الفوضويَّة التي تُعادي الدين والوطن معًا

وكأن اهل الالحاد والزندقة ادركوا مـا سيكون للدين الكاثوليكي من ارتفاع الشأن والفخر باعلان قداسة جان دراك فعزموا على مثال ڤولتير ان يشوّهوا تلك الصورة البديعة ويدنّسوها ببذاءة اقوالهم. فقام احد اساتذة كليَّة الحكومة المسمَّى طلماس (Thalamas) فألقى درسًا في ١٩ كانون الثاني امام طلبتهِ شنَّع فيهِ على جان دراك ونسب اليها اسوأ النيَّات واقبح الاعمال وأنكر الوحي السماويّ الذي دعاهـا الى نجاة وطنها فهبَّت السامعون لهذه الاقوال واقتسم الطلبـة الى قسمين انتشب بينهم شبه القتال ثم استفحل الشرّ في ٢٧ من الشهر وناصب المدافعون عن جان دراك استـاذهم

حتى كادوا يزقونهُ تزيقاً فغلب حزب المضادّين للوطن وزاد اسم جان درك بهاء بعد ان ألقي القبض على مئة من اولئك الأشهام فكان توقيفهم ظفراً لهم وكسرةً لاعداء وطنهم

وقد اثّر هذا المثل في كثيرين حتى انّ الاعياد التي أُقيمت في السنة المنصرمة لاكرام جان درك بلغت اقصى درجات الرونق والأبهة لا بل اعلن شيخ مدينة اورليان انّهُ لا يرضى باشتراك الماسون في الحفلة السنويّة التي تُعقد هناك ذكرًا لتلك البتول لئلّا يكدّروا صفاء العيد كما فعلوا في السنة السابقة بل اوعز الى الاكليروس بأن يُعدّوا حفلةً دينيّة لذلك الموسم العظيم. ولمّا احتج البعض على ما فعل شيخ اورليان طلب هذا من مجلس البلديّة التصويت في بيان رأيهم فكان عدد المضادين لاشتراك الماسون ١٩٣٩ شخصاً ضد ٧٨ فقط فسُحقت الماسونيّة بذلك بل قُل ان جان درك انتصرت ثانيةً على اعداء وطنها ودينها

ولا يسعنا هنا ان نغفل ما جرى في رومية من الحفلات يوم تطويب جان درك فانّ الكنيسة الكاثوليكية وحدها يمكنها ان تقوم بمثل هذه المظاهرات الجليلة فاراد حبر الاحبار ان لا يوفّر شيئاً من اسباب الرونق والعظمة في ذلك اليوم وكان عدد الفرنسويين الذين تقاطروا لحضور العيد لا يقلّ عن ٤٠٠٠٠٠ يتقدّمهم ٦٧ اسقفاً. وليس من قلم يستطيع ان يسطّر او لسان ان يصف ما خامر قلوب اولئك الزوّار لمّا حيّا نائب المسيح بل سلطانهِ راعية دُنمامي الوضيعة واعلن رسميًا بأنّها شفيعةٌ لفرنسة ومجدها الاثيل وبفعلهِ هذا اعترف ببطلان الشكاوى والمثالب التي رشقها بها اعداؤها كما انّهُ اقرّ بدعوتها الالهيّة ونسب الى الله ما صنعتهُ لخلاص وطنها

وفي غد ذلك اليوم ١٩ نيسان منح البابا الفرنسويين امتيازًا خصوصيًا فاستقبلهم في كنيسة مار بطرس على خلاف العادة فتلا اوّلًا اسقف اورليان عريضةً باسم الجمهور شاكرًا لقداستهِ فعلهُ بتطويب جان درك وما لبث رئيس الكنيسة جمعاء ان قام فخطب خطابًا في نهاية البلاغة ضمّنهُ لسبي واحنّ عواطف الحب نحو فرنسة وكنيستها المضطهدة. ولمّا انتهت الحفلة وحُمل كبير الاحبار على منصّتهِ الملوكيّة فرّ في وسط الجماهير المزدحمة لقي في طريقهِ راية فرنسة منتشرةً فالتقفها بيدهِ وقبّلها وضمّها الى قلبهِ هنيهةً امام الجموع فارتجّت كنيسة مار بطرس لصدى المتهلّلين وصفّقوا تصفيق

الاستحسان والشكر للاب الاقدس وبانت حماسة القوم اقصى مبلغها

وكانت هذه الحفلة الرومانية متقدمة للاعياد المتالية التي أقيمت في كل مدينة من مدن فرنسة ولا يكفي لوصفها مجلد واسع فانّ في باريس مثلاً ضاقت كنيسة نُتردام مع رحبها العظيم عن عدد الحضور فاقتضى السيد لوكور (Lecœur) ان يخطب للجمهور في الساحة الكبرى التي امام الكنيسة وكذّب الذين يزعمون انّ قلوب الفرنسويين خالية من شواعر الدين وبيانًا لذلك تلا مسهم دستور الايمان فترافعت تهاتهُ الى عنان السماء. وقس عليهِ بقيّة المواسم لاسيما في مدينتي اورليان وفي رِمس حيث اظهرت جان درك دعوتها السوئية بكسرة العدوّ وتتويج الملك شرل

وكذلك اقام اهل لورد في مدينتهم ثلاثيّةً لاكرام المطوّبة جان درك في ١٠ آب فيتم ذلك المزار الشهير بنسبة هذه الاعياد ٥٠٠,٠٠٠ من الزوّار تقلهم البخار على اجنحتهِ في ٢٩ قطارًا فجرت هناك حفلات كانت من ابدع المواسم الدينيّة وكانَ العذراء البتول ارادت ان تحيّي ابنتها جان فشفت في اثناء تلك الثلاثية كثيرين من المرضى والمسقومين الملتجئين اليها. امّا ختام اليوبيل الخمسيني (اطلب المشرق ١١ : ٣٢١ و١٢ : ٤٩) في لورد فوقع قبل ذلك في ١٠ الى ١٢ شباط وكان في معظم التخشّع والرونق

*

وان انتقلنا من فرنسة الى بلجكة وجدنا ان الكثلكة هناك رافلة في ثوب العزّ وقد احتفل اهلها في السنة الاخيرة باليوبيل الألفي لانشاء كليّتهم الجديدة في لوفان فقبلت كليات العالم باجمعها — الا كليّة فرنسة اللادينيّة — دعوة البلجكيين فأرسلوا وفودًا ليحضروا الاعياد البهجة التي تولّى اقامتها اساتذة لوفان في ٩ أيار

وفي ١٦ منهُ احتفلت بروكسل بتذكار فوز الكاثوليك على خصومهم في سنة ١٨٨٤ وباليوبيل الخمسيني للمعاهدة الكاثوليكية فيها. وعقب ذلك عقد المؤتمر الكاثوليكي في مدينة مالين في ٢٤ ايلول الى ٢٦ منهُ وقد سبق المشرق (١٢ : ٩٤١ — ٩٥٠) ووصف هذه المظاهرات في مقالة خاصّة لاحد الآباء البلجكيين اختصر فيها اعمال الحزب الكاثوليكيّ في بلجكة منذ ربع قرن. ولم يعكر سحابة صفاء هذه الاعياد الّا بعض الاختلاف وقع بين المندوبين الكاثوليك في امر الجنديّة ومدّة الخدمة والامل معقود بأنها تكون سحابة صيف فتنكشف

وقد تشبهت هولندة شقيقة بلجكة بجارتها في تعزيز الدين وان كان معظم اهلها بروتستانت وللكاثوليك من هذا القبيل سهمٌ فائز فانّ الانتخابات الاخيرة التي جرت في ٢٤ حزيران كانت فيها الغلبة لحزب اليمين فبلغ عددهم ٦٠ مندوباً منهم ٢٥ من احرار الكاثوليك. اما حزب الشمال فلا يتجاوز ٤٠. وقد عمّت الافراح هذه السنة دولة هولندة بمولد ولية عهدٍ للملكة. ففي ٣٠ نيسان ولدت للملكة وليلمين ابنةٌ دُعيت « اما هنريات جوليا » تخلفها في الملك فلا يستولي على البلاد ملك غريب

ولم يحرم الله كاثوليك انكلترة من تعزية جديدة كانوا في انتظارها من زمن مديد نزيد تحريرهم المدني من بعض السُّنن الموضوعة في حقهم أيام الاضطهاد البروتستاني كحرمانهم من رتبة كنشليار الدولة ومن منصب نيابة الملك في ارلندة وكنفي الجمعيات الرهبانية من بعض الحقوق منها معرفتهم الشرعيّة وصلاحيتهم للتملك الشرعي وكذلك الماء القسّ الملكي المخلّ بشرف الكاثوليك حيث يُنكر معتقدهم بوجود السيد المسيح في سرّ القربان. فالوزير العظيم المسيو اسكيث ارتأى ان تُلغى اصلًا تلك القرارات الشاذّة. وقد وافقتهُ مبدئيًا ندوة الشعب في جلسة ١٩ أيار فقبلت حكم المسيو رذمند بأغلبيّة الاصوات

ومما يشهد لانكلترة بمراعاتها للكاثوليك انّ الانكليز لم يتمرّضوا البتّة لتطويب جان درك الظافرة بجنودهم ولم يستاءوا من رفعتها على المذابح. اما الكاثوليك منهم فأتفقوا مع اخوتهم الفرنسويين على اكرامها لاسيما في رومية

عُقد المؤتمر القربانيّ السنة ١٩٠٩ من ٤ الى ١٠ آب في مدينة كولونية فأعرب الكاثوليك الالمانيّون في اثنائهِ عن وفرة ايمانهم وشدّة غيرتهم وارتباطهم غير المنفصم بالكرسيّ الرسولي. وكان الطواف بالقربان الاقدس في ختام المؤتمر مهيباً جليلًا في ٨ آب اشترك فيهِ ثمانون الفاً من المؤمنين

وكذلك النسيّون في السنة المنتهية زادوا تحمّساً في دينهم لاسيما في ٢٠ أيار اذ نظم الحبر الاعظم في سلك القديسين رجلين من اهل بلادهم الطوبويين اوريول وهوفباور. وكان عدد الاساقفة الحضور في رومية لتلك الحفلة ٢٠٠ اسقف اكثرهم من نواحي النمسة. وفي تلك الفرصة ارسل جلالة الامبراطور فرنسوا جوزف معروضاً بليغاً الى قداسة البابا بيوس العاشر يشكرهُ على هذا الالتفات

وفي ١ تموز اوفد جلالة السلطان محمّد الخامس وفداً خصوصيًا مع رقيم بخط يده الى امام الاحبار فوقع الامر في صدور الجميع احسن موقع . وقد اجاب قداسته على هذه الرسالة جواباً يسيل رقّة ولطفاً واعتباراً لشخص جلالة سلطان العثمانيين

ومما يُفعم قلب ابي المؤمنين سروراً ما يراهُ من حسن تصرُّف الملكَيْن الشابين عاهل اسبانية وعاهل البرتغال . وقد اغتنم الملك الفونس فرصة الحوادث السيئة التي جرت في مملكته بسبب قتل الاثيم فرّير ليجاهر بحبّه للكنيسة ولرأسها الموقّر . اما الملك مانويل فانهُ صار قدوةً لكل اهل باريس بما ابداهُ عند مروره في تلك العاصمة في اواخر تشرين الثاني اذ ذهب يوم الاحد في ٢٨ منهُ الى كنيسة مادلين ليتمم علانيةً فرائضهُ الدينية . ويسرّنا ان نذكر قرّاءنا بانَّ هذين الملكين تربّيا في حجر والدتين عربيتين في الدين اي الملكة كرستين والملكة أميلي احدى بنات الكنت دي باريس . فالأمل وطيد بانَّ ابنيهما لا يُصابان بعدوى الكفر المتفشّي في زماننا

وكذلك ملك ايطالية قد استحقَّ ثناء الكاثوليك في العام المنقضي باكرامهِ المكرَّر للحبر الاعظم كما انهُ لم يأنف ان يدافع عن اكليروس ايطالية ورهبانها بازاء المشائعين للجمعيّات الكافرة . ويا ليت ملوك ايطالية لم يلجوا في طريق حرجة لمّا طمعوا في مملكة البابا الزمنيّة واستعانوا لتحقيق رغائبهم باهل الثورة واصحاب الجمعيّات السرّيّة فجعلوا عرشهم على شفير هار

وفي تشرين الثاني كان ختام يوبيل الحبر الاعظم الاسقفيّ صارت فيهِ مظاهرات بهيجة كدَّرتها مؤامرة الفرمسون في ايطالية لتبجيل فرّير او قُل بالاحرى لتبييض سواد ذلك الحبشي القذر فملأوا شوارع رومية جلباً وطعنوا في شخص يوس العاشر الكريم . لكنَّ قداستهُ تعزّى بما كتبهُ اليهِ معظم ملوك اوربّة من الرسائل الناطقة بشواعر الحبّ البنويّ وبسموّ وقارهم الخليفة خامة الرسل كامبراطور نمسا وامبراطور المانية وملك اسبانية وامير باڤاريّة . وقد تلطَّف قيصر روسية فارسل هو ايضاً رقيماً بقلمهِ كان لقداسة البابا كبلسم لاوجاعهِ

*

هذا وقد بقي علينا ان نختصر في هذا النظر العام ما جرى من الحوادث السياسية في السنة الاخيرة . كانت انظار الشعوب متّجهة الى السلام فلم يرتق صفاء مياهها الّا

حوادث قلية كادت تنتهي مع نهاية السنة. فمن ذلك حوادث تركية التي فصّلناها في مقالتنا عن السنة الاولى للدستور العثماني (المشرق ١٢: ٥٦١–٥٦٩) وتركيا اليوم لم يبق ليتهدَّد راحتها سوى المسألة البلقانيَّة ومسألة كريت فضلاً عن الحرب اليمنيَّة اكسر شوكة الامام يحيى والمهدي محمَّد علي الادريسي

وكذلك امور مراكش فان الوقائع الدمويَّة التي حدثت فيها بين الاسبان والقبائل قد دخلت في طور جديد في سلخ شهر آب بوصول النجدات فان الجيش الاسباني اصاب الفوز التام بدخوله في ٢٨ ايلول في قصبة يسأبان فخضعت قبائل الريف ثم بقيَّة المعادين

ويُضاف الى هذه الحوادث المكدّرة ما جرى في العجم بين اهل الثورة والشاه. فانَّ الدستوريين أخلدوا الى الشغب ثم اعتصبوا وساروا الى طهران فتحوها في ١١ تموز رغماً عن الجند ومساعدة الروس للشاه. وفي ١٦ منهُ حصلت حرب اهليَّة في شوارع طهران اوجبت الشاه ان يلتجئ الى سفارة روسيَّة وانتهت الازمة بتنازله عن الملك لابنهِ مرزا وهو غلام كاد يناهز البلوغ عمرهُ احدى عشرة سنة وقد رضي بالملك الدستوري وافتتح مجلس الندوة في ١٥ تشرين الاوَّل

وقد اراد ايضاً اليونان ان يذوقوا ثمرة الفتن فانَّ جنودهم هاجوا وماجوا ليتزعوا السلطة في البرّ والبحر عن الامراء المنتمين الى الاسرة الملكيَّة. ثم زادوا لحّةً وطلبوا تغيير ١٨ من عمدة رؤساء البحر فاجتمعوا بالقومندان تيبلدوس واستولوا على سلامين الّا ان الاميرال ميوليس رماهم بالقنابل ودحرهم فهرب تيبلدس مع الضبّاط وهكذا انتهت تلك الازمة الّا ان العصبة الجنديَّة في اليونان وثيقة والله اعلم ما تنويهِ من المشاغب

وزد على هذه الامور المقلقة حركةً ثوريَّة حصلت في جمهوريَّة نيكاراغوا لم تخمد بعدُ نارها ولعلَّ الولايات المتَّحدة تتوسَّط في حلّ عقدتها. وزد كذلك زعجرةً اسمعتها اليابان للصين بسبب السكَّة الحديديَّة بين انطُنغ وموكدن. على انَّ هذه القلاقل كلّها كانت محليَّة منحصرة في بعض الجهات لم تعكّر صفاء السلم العام

ولكن يسوغنا القول بان هذا السلام ليس بسلام ثابت الاركان وطيد البنيان فيكفي شرارة واحدة لتوقد نار حربٍ هائلة تلتهم البلاد كالصاعقة. وقد يدعون هذا السلام سلاماً مسلحاً فناهيك بهذا الاسم داعياً للخوف منذراً بالاهوال. ولم تكتفِ الدول بالتسليحات السابقة بل صرفت على زيادتها المبالغ الطائلة. فتسمع ملوكها ورؤساءها يكرّرون عبارات

الولاء والتحابّ وتراهم يتزاورون ويتبادلون أنخاب الصداقة والاخاء وحكوماتهم موجسة خوفاً فيأخذ كل بلد حذرهُ من جارهِ ويقف لهُ بالمرصاد

ففي السنة المنصرمة ما كنّا لنسمع الّا اخباراً تفيد توفير الذخائر الحربيّـة برّاً وبحراً لاسيما الدرارع البحريّة العظيمة الحجم المعروفة بدرادنُتس (Dreadnoughts) التي عُرف فضلها في الحرب الاخيرة بين الروس واليابان فترى الدول كلّهـا تتسارع في تنمية هذه جابرة البحر وتتنافس في اتقانها. فاليوم تبلغ النفقات لتجهيز احدى هذه السفن قريباً من ٥٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك اعني ما يوازي مصاريف حربٍ طويلة في الازمنة السابقة. فان كل بارجة من هذه البوارج ستقلُّ عشرة من المدافع الكبيرة التي عيارها ٣٠٥ ملمترات مع ان الدارعة الضخمة لافريته التي رأيناها في بيروت في شهر أيار لا تحتوي سوى اربعة من هذه المدافع . فليت شعري ماذا تكون الحرب الآتيـة اذا اصطلت نيرانها ؟ ولاسيما اذا ما دخلت في ميدان الوغى المراكب الهوائيّة من مناطيد وطيّارات لانَّ الطيران منذ ثلث او اربع سنوات قد خطا خطوةً كادت تبلغ اصحابهُ قصوى امانيهم حتى انَّ اعضـاء مجلس التحكيم في لاهاي اخذوا يتباحثون في شروط استعمال آلاتهِ في الحروب فرغبوا الى الدول أن تتعاهد بألّا ترمي القذائف من عَلُ. كما انَّ هذه المراكب الجوّيّة فتحت باباً جديداً لاصحاب الفتن ليقذفوا اعداءهم منهـا بأدوات متفجّرة ويفرّوا من ايديهم محلّقين في الجوّ الى بلاد بعيـدة. وهذا ما حذرهُ جلالة قيصر روسيّة نيقولا الثاني في هذه السنة فانهُ ألّا عوّل ان يقضي الشتاء في قصر بطرسبورج الشهير امر المصعدين ان يمتنعوا عن ذلك الّا برخصة خاصّة وتحت نظارة الحرس

فسلامُنا اذن قابل الزوال تتهدّدهُ الاخطار وكأنَّ الملوك ورؤساء الدول يشعرون بهذه الحالة فيطلبون وسيلة لتطمين الخواطر ولاسيما بزياراتهم الرسميّة بعضهم الى بعض. ومن هذه الزيارات الملكيّة التي افاضت في وصفها الجرائد زيارة الملـك ادورد السابع وقرينتهِ في ٩ شباط لغليوم الثاني فقدما برلين تهنئةً للامبراطور الالماني لبلوغـهِ السنة الخمسين من عمرهِ. وكان من نتائج هذه الزيارة اتفاق دولتي فرنسة والمانية على سلامة دولة مرّاكش والمساواة التامّة في الحقوق الاقتصاديّة بين الدول المتعاهدة

وفي هذا الشهر عينهِ في ٢١ منهُ ألّا توتّرت الاحوال بين الترك والبلغار وقعت زيارة البرنس فرديناند امير بلغاريا الى ملك روسيّة فدعاهُ نيقولا لاوّل مرّة باسم القيصر

فوقع كلامهُ موقعاً سيئاً في قلب الدولة العليَّة لولا انهُ لطَّف فعلهُ بتعهُّدهِ لدفع الدَّين البلغاري متنازلاً لتركيَّة عن بقايا دينها لروسيَّة بعد حرب ١٨٧٦ — ١٨٧٧. وما مرَّ على ذلك عشرة أيام حتى زال النزاع بين الدولتين وتقرَّرت شروط المعاهدة بينهما فامضاها ممثلو الدولتين في ٢ آذار

ومن الزيارات الملوكيَّة التي عُرفت غايتها السياسيَّة المواجهات المتبادلة بين اصحاب الدول الثلاث ايطالية والمانية والنمسة اثباتاً لتحالفهما الثلاثي الذي جعل البعض ينكرونهُ بعد مدّ النمسة سيطرتها على ولايتي البُسنة والهرسك فاثار فعلها حزازات في قلب صربية والجبل الاسود وكادت الحرب تنشب بينها وبين النمسة اذ رأيا في هذا الامر تعدّياً على حقوقها لمناختهما للبسنة والهرسك. واستاء ايضاً الايطاليُّون من النمسة لأنَّ ملكتهم ابنة امير الجبل الاسود وهم ينقمون للنمسة معاملتها في التيرول وفي تريستة لمواطنيهم فارادوا ان ينضمُّوا الى الصرب والجبل الاسود فيحاربوا النمسة وكتبوا في جرائدهم المقالات المهيجة وقاموا في رومية بالمظاهرات العدائيَّة ضدَّ سفارة النمسة. الَّا انَّ الصرب بعد مدَّة عدلوا عن تحمُّسهم اذ رأوا انَّ روسيَّة صادقت على المعاهدة بين تركيَّة والنمسة وهكذا زال خوف الحرب. ثم اسرع امبراطور المانية لتوثيق عُرى التحالف السابق بين الدول الثلاث فانتهز فرصة عودتهِ من جزيرة كورفو ليزور في برنديزي ملك ايطالية فخطب الملكان خطابين رسميين اشارا فيهما لاتحاد الدولتين ثم ارسلا بالبرق رقيماً ودّياً للامبراطور فرنسوا جوزف. وبعد قليل التقى الامبراطوران في حاضرة النمسة وتناوبا الانخاب الولائيَّة وفي اثر المأدبة اوفدا لملك ايطاليَّة نبأً برقيّاً صرَّحا فيهِ بالتحالف الثلاثي بحيث لم يبق في الامر ريب البتَّة. وهذا التحالف لستّ سنوات ثمَّ يجدَّد

وبازاء هذا التحالف الثلاثي شعرت الدولتان الروسيَّة والانكليزيَّة بحاجتهما الى التقرُّب والولاء بعد نفورهما القديم بسبب مزاحمة الدولتين الواحدة للاخرى في جهات الهند والعجم. ففي ٢ آب التقى القيصر مع ملك الانكليز في سپيتهاد (Spithead) بحرًا وقام الانكليز هناك بمعرض بحري فخيم اجلالاً لنيقولا الثاني. فكان لاجتماع الملكين تأثير عظيم وتوطَّد امل الناس في السلم العام. ثم اجتاز القيصر بلاد المانية وزار الامبراطور غليوم في كيل في آب ومرَّ في فرنسة عادلاً في طريقهِ من النمسة حتى بلغ

راكونيجي في شمالي ايطالية فاستقبلهُ فيها ملك ايطالية مع الملكة بالعزّ والتبجيل

وكان السياسيون يلهجون بزيارة جلالة السلطان محمّد الخامس لجارهِ الروسيّ الّا انّ كرامة الدولة العثمانية رأت في هذه الزيارة الشخصيّة بعض غضاض فرأى اصحاب الامر انّ الاولى بان يقوم بهذه المهمّة وزير الخارجية رفعت باشا الذي وقّع في بطرسبورج على المعاهدة بين تركيّة و بلغارية . فأُرسل مع وفد على اليخت السلطانيّ « اسطنبول » ليلاقي القيصر عند عودتهِ من ليفاديا فتمّت الزيارة في ١٢ تشرين الاوّل وقدّم الوزير لقيصر بخطّ جلالة السلطان محمّد الخامس مع هديّة ٦٠٠٠ لفافة من اجود التبغ العثماني كان اوصى صاحب السلطنة بصنعها في معامل الريجي وهكذا عادت المواصلات الوديّة التي انقطعت بين الدولتين منذ ٣٣ سنة

وكذلك كثر لهج الجرائد في المواجهة الحديثة بين قيصر البلغار وولي عهد الصرب فلا يُعلم أيكون في اتّفاق دولتي البلقان مناوأة للنمسة . والله اعلم

ومن اخبار فرنسة الاخيرة مصادقة ندوتها على برنامج البحريّة الذي تعيّن للسنة ١٩١٠ بقدر ٣٧١,٠٠٠,٠٠٠ اعني بزيادة ٣٧ مليوناً على السنة الماضية (١ فهذه نفقات غريبة ويا ليتها كلّها تُصرف في اصلاح الاسطول فلا تبذّر كما حصل في السنين الاخيرة حتى انّ العجز الذي أعلن به رسميًّا في ١٩ حزيران لا يقلّ عن ٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك . وما كان سقوط وزارة كليمنسو في ٢٠ تموز الّا بيان الحالة السيئة التي بلغتها الاساطيل البحريّة في فرنسة . فقام كليمنسو ليدافع عن الوزارة لكنّهُ مسّ كرامة المجلس وطعن بوطنيتهِ فتصدّى لهُ دلكاسه ودافع عن شرف الوطن فانقلبت الوزارة

فترى ما يكلّفنا سلامنا العام . وقد عزم مجلس السلم في لاهاي بعد حكمهِ في خصام فرنسة والمانية في مراكش على ان يجعل حدًّا للتسليح فنسأل ربّ السلام بان تأتي مساعيهِ بالمرغوب

(١ ان عدة رؤساء البحر اتّفقت على ان يُصرف ثلاثة مليارات فرنك لاصلاح الاسطول وذلك في مدّة ٢٥ سنة حتى تبقى فرنسة في مقام الدول البحريّة الاولى . ففي سنة ١٩٢٥ يقتضي ان يتمّ لها تسيير ٤٥ دارعة كبيرة ثم ١٢ بارجة و١٢٤ سفينة معاكسة للتوربيل

حمّى مالطة

للاب بوڤه لاپيار اليسوعي مدرّس علم البكتريولوجيا في مكتبنا الطبي

حدثت في هذه الاشهر الاخيرة في بيروت وسواحل الشام بعض اصابات بحُمّى مالطة انتهى قسمٌ منها بموت اصحابها فلهجت الالسنة بهذا الداء الجديد الذي لم يُسمع به سابقاً في جهاتنا ورغب الينا البعض ان نكتب فصلاً موجزاً في تعريف هذه الحمّى وبيان خواصها وعلّتها واعراضها وكيفيّة تشخيصها وعلاجها فأجبنا الى مبتغاهم بهذه النبذة فنقول :

﴿ اسمها ﴾ ان هذه الحمّى نُسبت الى مالطة لكثرة المصابين بها في تلك الجزيرة ولأنّ الاطبّاء الانكليز اذ وجدوها فاشيةً في جنودهم الرابطة هناك وجّهوا اليها نظرهم وامعنوا في حقيقتها ورأوا انها ليست كحُمّى المستنقعات المعروفة بالحمى الملاريّة فتختلف عنها بأعراضها . ثم وجدوها ايضاً في شحنتهم المحتلّة في جبل طارق فتحقّقوا انها سليمة العقبى لكنّها تنهك قوى الجسد فلا يعودون قادرين على اتمام مأموريّاتهم

فاستوقف هذا الوصف لحمّى مالطة واعراضها نظر الاطبّاء في عدّة امكنة فتبيّنوا بعد البحث وجودها في عدّة بلاد كسواحل البحر المتوسّط الشرقيّة والجنوبيّة وعلى ضفاف البحر الاحمر وفي الهند والصين وجنوبي افريقية وفي جزائر انتيل والولايات المتّحدة وافرزوا بينها وبين الحمّى الملاريّة فبقي عليها اسم حمّى مالطة وان لم تختصّ بهذه الجزيرة وهي اعرف باسم حُمّى البحر المتوسط . وكانت الاصابات بهذا الداء قليلة في مصر وبورسعيد فاخذت منذ سنين قريبة تنمو وتزداد الى ان احتلّت بلادنا ضيفاً ثقيلاً كنّا وددنا لو كُفينا شرّهُ

﴿ تعريفها ﴾ انّ حُمّى مالطة معدودة بين الامراض القليلة الوَفَيات التي تختلف مدّاتها اختلافاً كبيرًا . ومن خواصها تعدُّد نوباتها وكل نوبة منها تدوم اسبوعاً او عدّة اسابيع ثم تنقطع عن المصاب مدّةً غير معلومة لمأ انقطاعاً تامّاً واما نوعيًا . وكثيرًا

ما تحدث في هذه الحمّى ارتباكات شتى اخصُّها الورم وارجاع المفاصل والعرق الوافر والانيميا (الهُزال) وضعف الاعصاب

واغلب الذين يصابون بهذه الحمّى تتراوح اعمارهم بين السادسة من سنّهم الى سنّ الثلاثين . وهي تصيب على حدٍّ سواء الوطنيين والاجانب . على انّها اذا عشّشت في بلدٍ كما في مالطة ربّما تنتشر كانتشار العدوى . ومعظم فشوّها في الشهور القليلة المطر. امتي من حزيران الى ايلول لكنّها لا تنحصر في فصل الصيف . ولحظوا في كل فصول السنة افرادًا مُبتلين بمرّتها كما انّها تصيب الناس في كل الامكنة في المدن او القرى . في البرّ او البحر . على انّهم وجدوا ان فشوّها في بعض الامكنة اكثر من بعض كثكنات العساكر وبعض البيوت الخاصّة او بعض السفن البحريّة دون أن يتحقّقوا الى الآن سبب هذا الاختلاف في انتشارها

﴿ علّتها ﴾ بقي الاطبّاء زمنًا طويلًا وهم يُعلّلون هذه الحُمّى تعليلهم للحُمى الملاريّة وحمى التيفوس او التيفوديّة الّا انّ المحققين من حكماء عصرنا ولاسيما الذين تخصّصوا بالابحاث عن الجراثيم المعدية والميكروبات استدلّوا على علّتها الحقيقيّة فهم اليوم يتّفقون على انّ مسبّب هذه الحمى انّما هو ميكروب خاصّ دعوهُ ايضًا باسم ميكروب مالطة (Micrococcus Melitensis) وكان اوّل من افرز هذا الميكروب الدكتور الانكليزي بروس (Bruce) سنة ١٨٨٧ فاكتشفهُ في طحال بعض المتوفّين بهذه الحمى واثبت صحّة قولهِ باختبارات متواترة فبيّن انّ هذا الجرثوم هو علّة المرض وليس غيرهُ . ومنذ عهد قريب جرت اكتشافات أُخرى يستفاد منها انّ ميكروب هذه الحمى موجود في بعض المواشي وعلى الاخصّ في حليب المعزى وبولها حيث تتوفّر جراثيمهُ المعدية

وليس الوقوف على هذا الميكروب بأمر سهل لأنّ وجودهُ في الدم نادر الّا في اوّل الحمى عند تفاقمها . تكثُرُ في الطحال وفي الغدد اللمفاويّة كثير وهو هناك ينمو ويتمادى مكثهُ ومن اراد استنباتهُ امكن تطعيم بعض الحيوانات كالقرود بهذه الجراثيم فاذا أُصيبت بالداء يُستخرج منها الميكروب ويُدخل في جسم حيوانات اخرى فيصيبها ما اصاب الاولى

وميكروب حمى مالطة غاية في الدقّة كالميكروبات المجانسة لهُ فلا يبلغ قطرهُ

ثلث الميكرون (والميكرون الجزء الالف من المليمتر) فيقاس ٠٫٣٣ من الميكرون يُرى بالمجهرات المكبّرة القويّة فتراهُ غالباً منفردًا و يكون مجتمعاً ثُنائي وربُاعي ولا يُرى على شبه السلسلة الّا نادرًا وتراهُ ساكن الحركة واحسن طريقة لاستنباتهِ ان يُجعل في نوع من الهلام يستخرجونهُ من الحشّ البحري (algues) ويدعونهُ جلون (gélose) فتراهُ بعد قليل على صورة مستعمرات صغيرة تُرى بالعين المجرّدة وتكون كدُرر شفّافة . وبعد ٣٦ ساعة تضرب صورتها الى لون الكهرب ثم تصير مصمتة . امّا درجة الحرارة الموافقة لتنميتها فدرجة حرارة الجسم اعني ٣٧° فوق السفر من ميزان السنتغراد

وقد زعم بعض الاطبّاء انّ حياة هذا الميكروب ضيقة سريعة الطب الّا انّ أولي البحث والتنقيب بيّنوا على عكس ذلك انّ ميكروب هذه الحمى يمكنهُ ان يعيش طويلًا في الماء والزبل وعلى ثياب المرضى وانّ البرد واليبس لا يقتلانهِ . والبول يصلح لهُ فينمو فيهِ وقد وجدوا منهُ كيّات وافرة في لبن المعزى والبقر السليمة المنظر وفي ابوالهم وفي بول الناس الذين يلوحون بتمام العافية والصحّة . لا بل استدلّوا على وجودهِ في الكلب والخروف والفرس وذلك هو السبب لتفشّي هذه الحمى في بلاد كثيرة

﴿ طريقة انتشارها ﴾ انتشار حُمى مالطة من انسان الى آخر سليم لا يكون عادةً بالمسيس كما انّ العلماء انكروا انتقالهُ توًّا من الهواء او من الماء والمآكل الى ذوي الصحّة . الّا انّ في قولهم نظرًا على الاقلّ فيما يخصّ الحليب كما سترى . والغالب انّهُ ينتشر بالتلقيح فيكفي لذلك وخز ابرة غُمست في مستنبت ميكروبات هذه الحُمّى . ولعلّ ناقل جراثيمها هو البعوض واسندوا زعمهم الى انتشار الداء في فصل توفُّر البعوض اي فصل الصيف ثم الى وجود ميكروبهِ في جسم هذه الهامّة وتمكّنوا من تلقيح قرد بعض البعوض الناقة للميكروب . وما لا يُنكر انّ الخدم الذين يُعنون في المستشفيات بمعالجة المحمومين بحُمّى مالطة يصابون بهذا الداء اكثر من سواهم عشرة اضعاف

ومن المحتمل ان تنتقل هذه الجراثيم الوبيئة بواسطة الغبار المنتشر في الهواء سواء تمّ ذلك بدخولها في الجسم بالتنفّس او بسقوطها على جرح او على الجليدة الواصلة بين

العين والجفن (conjonctive) وما يدلُّ على صحَّة هذا الرأي اكتشاف ميكروبات هذه الحمَّى في براز الانسان والحيوان . وزد عليه انَّهُ يكفي لانتشار عدواهـا كتيَّة زهيدة جدًّا من الجراثيم الوبيئة . وقد تأيَّد هذا الرأي بحادث جرى في انكلترَّة وهو انَّ رجلًا أُصيب بهذه الحمى لوضعهِ في فمِ الترمومتر الطبِّي الذي كان ابنهُ يستعملهُ في مالطة اذ كان محمومًا

الَّا انَّ اعظم وسيلة لنشر هذا الداء انَّما هو حليب المعزى . فانَّ الاختبارات التي اجروها في مالطة بيَّنت انَّ عشر أمعُز في المئة من معزى مالطة كان حليبها ملوَّثًا بميكروب هذه الحمى . ولمَّا اشربوا بعض القرود من ذلك الحليب الفاسد أُصيبت القرود بالمرض . وكذلك الجنود الانكليزيَّة الرابطة في مالطة انتشر بينهم الداء فبلغ ٣ في المئـة ثم تفاقم في بعض الاحيان حتى بلغ ١٥ او ٢٠ بالمئة فلمَّا قطعوا عنهم شرب حليب المعزى كفَّ المرض . وهكذا جرى لجنود جبل طارق الذين كانوا يقتاتون بحليب معزى اتوا بها من مالطة فانَّ الحمَّى انقطعت عنهم بقطع سببها . وزاد الامر ايضاحًا سنة ١٩٠٥ اذ نقل احد المراكب الانكليزيَّة المدعو يوشوا نيكلسون (Joshua Nicholson) قطيعًا من معزى مالطة عددها ٦٥ فاكثر الذين شربوا حليبها في المركب أُصيبوا بالحمى المالطيَّة

ثمَّ جرى في السنة ١٩٠٨ حادث آخر لم يُبقِ في الامر شكًّا في انتقال ميكروب هذه الحمى بواسطة المعز . كان احد اغنياء باريس سمع بانَّ حليب المعزى يقوى على السلّ ولا يتلوَّث بميكروبهِ فابتنى في فُنتانبلو قريبًا من باريس حظيرة كبيرة واستجلب بنفقات طائلة من تلك المواشي اسرابًا من سويسرة واسبانية وبرّ الاناضول حتى بلاد نوبية . فبعد مدَّة فشت عدوى بينها دامت ايامًا وقبل انقطاعها أُصيب صاحبهـا ومع البستاني الذي كان يُعنى بامرها بحمى شخَّصها الطبيب كحمى التيفوس وبعد شهر ظهرت في المريضين اعراض غريبة فخفَّت الحمى ثم تكرَّرت نوباتها على طرائق غير قانونيَّة لا توافق الحمى التيفوسيَّة فلم تظهر بقع وردية عدسيَّة الحجم على جسم المصابين الَّا انَّ احدهمـا احسَّ باوجاع في الكلى والاخر بوجع عرق النَّسا . وكان العرق يبلُّ جسم احدهما حتى يلزم ان يغيِّر شراشف فرشهِ وثيابهُ مرارًا في النهار . فكلُّ هذه الاعراض نبَّهت فكر الطبيب الى حُمى مالطة التي انتقلت الى المريضين بواسطة حليب المعزى

﴿ تشخيصها ﴾ تُشخَّص حُمَّى مالطـة كما تُشخَّص الامراض الميكروبيَّة

ولاسيما الحمى التيفوسيَّة فيستخرج الطبيب نقطة من دم المريض ويأخذ مَصْلهُ فيمزجهُ بمستنبت ميكروبات حيَّة ثم يفحصهُ بالمجهر فان كان المريض سالم الجسم من هذا الداء بقيت الميكروبات منفردة منبثَّة في المزيج . اما اذا كان محموماً بهذه الحمى فترى الميكروبات تتناطر وتزدحم بعضها ببعض فتكون على اشباه البُقَع المتلاصقة . وهذا التلاصق (agglutination) هو الدليل الاكيد على انَّ حمى مالطة دهمت جسم الانسان فيعالجهُ الطبيب كما سترى

﴿ أعراضها ﴾ حضانة هذا الداء يختلف زمانها فقد وجدوا اشخاصاً أصيبوا به بعد قدومهم مالطة بستَّة أيام وغيرهم شعروا بنوباته ١٥ او ١٧ يوماً بعد خروجهم منها ويظنّ البعض ان هذه الحمى تبقى اسابيع بل شهوراً عديدة في طور الحضانة ثم تظهر على بغتة . واوَّل ما يشعر به المصاب نوعٌ من العياء والتَّعب كما يجري وقت حضانة الحمَّيات الخبيثة وكذلك يحسُّ بوجع الرأس وتكسُّر وثقل في الاعضاء ولا يلبث ان يلزم الفراش ويفقد القابليَّة ويزيد الصداع ويتألم المريض من العطش ويعتريه الانقباض . وكل ذلك شبيه بأعراض حمَّى التيفوس دون البقع الورديَّة على الجلد . ويكون اللسان وسخاً والحنجرة محتقنةً مع بعض التهاب في الشُّعَب او الرئة وكذلك وجع في الحاصرة ويزيد الطحال حجماً ويكون التوم مترعجاً وفي بعض الاحيان يهذي النائم . اما درجات حرارة الحمَّى فتختلف صباح مساء فتسقط صباحاً وتصعد مساء وليلاً ويسيل العرق من الجسم بغزارة

وبعد اسبوع او اسبوعين تخفّ الاوجاع ويقلّ العرق وينظف اللسان ويعود للمريض بعض القبول للطعام ومع هذا التحسُّن في الصحَّة يبقى المريض متوعّكاً جامداً معرَّضاً للقبض ولوجع الرأس . وبعد قليل تزيد قابليَّتهُ وينام نوماً نظامياً الَّا ان القوى تبقى ضعيفةً والحمى خفيفة . ثم انَّ الوجع يعود بعد أيام فتبتدئ نوبة ثانية كالأولى وكثيراً ما يظهر ورمٌ في المفاصل ينتقل من عضو الى آخر وكذلك اوجاع الاعصاب تتنقل في سائر اقسام الجسم هذا اذا لم تحصل ارتباكات غيرها . ويمكن ان تعود نوبات الحمى مراراً متعدّدة بعد انفصالها حتى انَّ بعض المصابين داموا في هذه الحالة المَرَضيَّة سنين ومعدَّل دوامها اربعة اشهر . اما الوفيات فانها قليلة الَّا اذا اشتدت نوبتُها الى حدّ بالغ وتجاوزت حدود الحرارة الاعتياديَّة فتصيب المريض سريعاً واذا اصيبت الرئة فالموت ممكن

﴿ ملاجها ﴾ على الذين يسكنون في مالطة وفي المدن التي صار فيها الداء مزمناً أن يتخذوا كل الاحتياطات في الاكل والشرب لاسيما الحليب الذي يجب تعقيمهُ قبل الاغتذاء بهِ . وكذلك يُتقى البعوض وتُغسل آنية الطعام بالماء المغلي . والأولى بالمسافرين ان لا يرحلوا الى تلك الجهات في فصل الصيف

اذا تحقق الطبيب ان احد المرضى أصيب بالداء فليرصهِ باخذ شربةٍ مع تفضيل الزئبق الحلو (calomel) او الجلب (jalap) ثم يسعى المرضون بتبريد حرارة المحموم بحيث تبقى الدرجة مطلقاً تحت ٣٩.٥° وذلك اما بغطسهِ في الماء البارد واما بغسل رأسهِ بالماء المثلج الممزوج بالخلّ او برضم لبخات الثلج وليحذروا من اهباط درجة الحرارة اكثر من درجتين او ثلاث . وقد بيّن الاختبار انَّ الكينا والسَّلسيلات لا تنفعان في هذا الداء بل تضرّان . ويجوز استعمال الانتيپيرين وخصوصاً لازالة الصُّداع كذلك يعالج القبض بالمسهلات او بالحقن . ويجب على المريض ان يجتنبي من الطعام الّا الحليب النظيف وبعد مدَّة يُعطى الحُساء والبيض وبعض المآكل الخفيفة المنعشة ولا يأكل المواد الجامدة الّا بعد نظافة اللسان ويحسن شرب الليموناذة وعصير الليمون الحامض . وليبق الطعام معتدلاً على مدَّة حذراً من الانتكاس . وليلزم الدار وليمتدّ على كرسيّ طويل في البيت او في الجنينة اذا سمح الطقس بذلك وهذا على مدَّة ثلاثة اسابيع

اما اللبس فيكون من القلانلًا واذا ابتأت بالعرق فليبدلها . وليس تغيير الهواء لازماً كما يلزم في حُمى الملاريا اذ لا يقوى المريض غالباً على اتعاب السفر اما اذا انقطعت عنهُ الحمى وبرئ تماماً فيحسن بهِ ان يبتعد مدَّة عن البلد الذي يفشو فيهِ هذا الداء

وقد اخذ بعض الاطبّاء ان يلقحوا المرض بميكروبات ميتة من الحمى المالطية الّا انهم حتى الآن لم ينالوا نجاحاً يُذكر . ولعلَّ هذا التطعيم يفيد بعض الافادة في الامراض المزمنة عندما تخفُّ نوبة الحمى وتهبط درجة الحرارة تقويةً للجسم . اما الوقاية منها بالتطعيم السابق فحتى الآن لم يصحّ . لطّف الله بعبادهِ وخفّف بعنايتهِ ادواءهم

الآداب العربيّة
في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)
أدباء النصارى في ختام القرن التاسع عشر (تابع)

(ميخائيل مشاقة) ومن المتوفّين في السنة ١٨٨٨ الدكتور ميخائيل مشاقة كان مولدهُ في رشميًّا سنة ١٨٠٠ من عائلة كاثوليكيَّة ملكيَّة وكان ابوهُ من المقرَّبين الى الامير بشير الكبير فانتقل مع اهل بيتهِ الى دير القمر فلمَّا انس في ولدهِ الذكاء خرَّجهُ في مبادئ اللغة والحساب ومسك الدفاتر ثم درس الفتى على خالهِ بطرس عنحوري شيئًا من العلوم الطبيعيَّة والرياضيَّة والفلكيَّة ورافقهُ بعد مدَّةٍ الى دمياط واشتغل بالتجارة وكان في اوقات الفراغ يتعاطى الآداب ويدرس الرياضيَّات والموسيقى والطبّ فنال من كلها حظًّا ورجع الى وطنهِ وخصَّ نفسهُ بالطبابة والجراحة مع كونهِ لم يدرس الفنَّين في مدرسة ولم يزل يمارسهما حتى امكنهُ ان يحضر دروس مدرسة القصر العيني في مصر سنة ١٨٤٥ فتقدَّم فيها فحصًا احظاه بالشهادة الرسميَّة سنة ١٨٤٦. ثم استوطن دمشق مع اهلهِ وتعيَّن قنصلًا للولايات المتحدة فيها. وكان ذلك خصوصًا بمساعي المرسلين الاميركان الذين اجتذبوه الى دينهم فجاهر بالبروتستانيَّة سنة ١٨٤٨ وصرَّب السهام الى اهل دينهِ وملَّتهِ فقام بينهُ وبين الكاثوليك جدالٌ طويل لم يزده الَّا عنادًا فبقي على مذهبهِ الجديد الى وفاتهِ في ٦ تموز من السنة ١٨٨٨. وكان الدكتور مشاقة ذلق اللسان سهل الانشاء لكنهُ كان ركيك العبارة قليل البصيرة في التاريخ والفلسفة كثير الثقة بنفسهِ وكان يتعقَّب آثار الملحدين كفولتار وڤولناي فحذا حذوهم. ولهُ كتب مختلفة خلا الكتب الجدليَّة السابق ذكرها منها كتاب « الجواب على اقتراح الاحباب » ضمَّنهُ حوادث بلادهِ منذ اواخر القرن الثامن عشر الى زمانهِ وقد اتَّسع في حوادث سنة ١٨٦٠ التي كاد يذهب هو ضحيتها ونجا منها بأعجوبة الامير عبد القادر وكذلك افاض في تاريخ

لسرته. وهذا الكتاب قد طُبع في مصر مؤخرًا بعد ضبطهِ وتنقيح انشائهِ الضعيف على يد الاديبين ملحم عبدو واندراوس شخاشيري فسمّياه مشهد الاحيان بحوادث سوريا ولبنان. ومنها رسالتهُ المنونة الرسالة الشهابيَّة في قواعد الحان الموسيقى العربيَّة. التي نشرها في المشرق (٢: ١٤٦ الخ) حضرة الاب لويس رنّقال وعلّق عليها الحولشي ثم طبعها على حدة مع التصاوير. ولهُ كذلك التحفة المشاقيَّة في علم الحساب. وكتاب المعين على حساب الأيام والاشهر والسنين

(ابراهيم بك كرامة) هو ابن بطرس كرامة شاعر الامير بشير الذي مرَّ لنا ذكر ترجمتهِ (ج ١ ص ٥١٠–٦١٠) جرى صغيرًا على آثار والدهِ وبرع في العربيَّة ودخل ديوان الكتابة في لبنان ثم سافر الى الاستانة وتوظَّف في جملة عمَّال الدولة وامتاز هناك في العلوم الشرعيَّة. ومن ظريف ما مُدح بهِ ابراهيم بك قول الشيخ ناصيف اليازجي فيهِ لمَّا رحل الى القسطنطينيَّة ليستلم مأموريَّتهُ:

خلتِ الديارُ فلا كرامةَ عندها ... تُرجى ولا ابنُ كرامةٍ للمُمتَني
هيهاتِ انَّ ابنَ الكرامة حلَّ في ... دار الخلافة بالمقام الاشرفِ
سبحانَ ذي العرش المجيد فقد بدت ... في شخصِ ابراهيمَ صورةُ يوسفِ
أصلٌ بنار فراقهِ قلبي ولا ... بَردٌ هناك ولا سلامَ فتطفي
ذاك الكريمُ ابن الكرام ومَن لهُ ... الذكر الشهيرُ ومن لهُ اللطف الخفي
ورث الكرامة عن ابيهِ وجدّه ... لكنَّهُ بتليدها لا يكتفي
شهدتْ لهُ الاتراك بالفضل الذي ... شهدت بهِ الأعراب دون تكلُّفِ
قد نال ما هو اهلُ ما هو فوقهُ ... فانظر لأيهما الثناء وأنصفِ

ثم عاد ابراهيم كرامة الى وطنهِ واعتزل الاشغال وكانت وفاتهُ في بيروت سنة ١٨٨٨. فقال يؤرخ ضريحهُ جناب الاديب فيليب دي طرَّازي:

مثوًى غدا في حماهُ الانَ مضطجعًا ... مَن كان في قومهِ من اكبر العمدِ
سليلُ بيتٍ رفيع الشأن مشتهرٍ ... في الشعر والنثر والتدبير والرشدِ
بعلمهِ علَمٌ قد زانهُ عَمَلٌ ... برأيهِ غُرَّةٌ في جبهةِ الابدِ
بنو كرامةَ قد ناحوا عليهِ كما ... عليهِ ناحت ديار العرب من كمدِ
مضى واحرفُ تاريخٍ لما رقمت ... حُييت يا قبرَ ابراهيمَ للأبدِ(١٨٨٨)

وكان ابراهيم بك كرامة مغرمًا بالآداب يتداول الرسائل مع مشاهير عصرهِ

كالشيخ ناصيف اليازجي وجبرائيل الدلّال وكان ينظم النظم الحسن ولهُ ديوان لم يطبع فمن قولهِ بيتان في تاريخ ظهور جريدة السلام في الاستانة سنة ١٢٧٨ (١٨٦١) :

نُشرت صحيفتنا السلام ونشرُها قد طاب يا اهل الوفاء لديكمُ
ان ضنّ بالخبر الصحيح مؤرخٌ يتلو حوادثهُ السلامُ عليكمُ

ويروى لهُ في فتاة لبست ثوبًا ورديًّا :

وردّيةُ الخدّ بالورديّ قد خطرت غيرى تيهًا وتثني الغصنَ إعجابا
لم يكفِ قامتها الميناء ما فعلت حتى اكتست من دمِ الطلّاب اثوابا

(انكونت رشيد الدحداح) وفي هذه المدّة اطفأ سراج حياة احد وجهاء اللبنانيين في فرنسة . اعني انكونت رشيد الدحداح . وليس هو اوّل من امتاز بين المشايخ الدحادحة بذكاء عقلهِ وآدابهِ في القرن التاسع عشر . فان تاريخ لبنان ذكر منهم كثيرين نالوا شهرةً في دواوين الكتّاب كالشيخ سلّوم الدحداح واخيهِ الشيخ ناصيف كاتبي الامير يوسف الشهابي في جهات طرابلس ثم عاملي الامير بشير . وكالشيخ منصور الدحداح ابن سلّوم مدبّر الامور في لبنان مدّةً (توفي سنة ١٨٦١) . وكالشيخ امين الدحداح رئيس الكتبة عند الامير حيدر ومؤلف تآليف ادبيّة منها رسائل وحكم ومراثٍ . وكالشيخ يوسف ابنهِ من شعراء زمانهِ توفي قبل والدهِ سنة ١٨٥٠ وغيرهم من فرسان القلم

الّا ان الشيخ رشيد فاق الجميع . ولد سنة ١٨١٣ في قرية عرامون كسروان ثم درس في عين ورقة . وفي سنة ١٨٣٨ اختارهُ الامير امين الشهابي ابن الامير بشير كاتبًا لاسرارهِ . ثم خدم لبنان في مناصب شتّى لولا انّهُ وجد في وطنهِ من سوء المعاملات واسباب العداء ما حملهُ الى ان يتغرّب في البلاد فانتقل الى مرسيليا سنة ١٨٤٥ في صحبة الشيخ مرعي الدحداح الذي كان عاد الى سوريّة بعد فتحهِ هناك محلًّا تجاريًّا فرافقهُ الشيخ رشيد واقترن بابنتهِ وشاركهُ في الشغل الى السنة ١٨٥٢ حيث فتح محلًّا تجاريًّا لحسابهِ مع اخيهِ سلّوم . لكنهُ بعد حين اقطع الى خدمة العلم والآداب معرضًا عن التجارة فأنشأ جريدة بوجيس باريس وحظي لدى الحكومة الفرنسويّة ثم اكتسبت شهرتهُ بين الادباء واتّصل بباي تونس لمّا حضر الى باريس سنة ١٨٦٢ فمدحهُ بلاميّتهِ التي نشرناها في المشرق (٥ : ١٥٥) وعارض فيها لاميّة كعب بن زهير فاجازهُ عليها

الباي واتخذه كترجمانه الخاص وقلده الامور الخطيرة في دولته

ثم عاد انكونت رشيد الى باريس وابتنى فيها قصراً بديعاً واقتنى قرية دينار في مقاطعة برطانية فاجال فيها يد العمارة وشيّد فيها داراً فخيمة سكنها مع اهله ولم يزل في آخر حياته يُعنى بالمطالعة والتأليف الى يوم وفاته في ٥ أيار سنة ١٨٨٩ .

وللكونت رشيد من الآثار الادبية ما اكسبه اسماً طيباً في الشرق والغرب معاً. فمن ذلك انه سعى بنشر معجم السيد جرمانوس فرحات في مرسيلية سنة ١٨٤٩ بعد ان رتّبه وهذّبه واصلح ما فيه من الخطإ . ثم طبع فيها ايضاً سنة ١٨٥٥ شرحين مستوفيين على ديوان ابن الفارض للشيخ حسن البوريني وللسيد عبد الغني النابلسي . وهما الشرحان اللذان اعاد طبعهما المسمّى محمد السيوطي في المطبعة الخيرية في مصر سنة ١٣١٠ (١٨٩٣) وسكت عن اسم انكونت وانما اشار اليه اشارة خفيفة لئلا يُعرَف متولّي العمل فدعاه « رشيد بن غالب المجتبي » . وكان انكونت اوّل من نشر كتاب فقه اللغة الذي اعدنا بعد ذلك طبعه . وله مقالات شتّى سياسيّة طبع بعضها على حدة منها كتاب التمثال السياسي مع بيان احوال فرنسة في عهد نابوليون . وله مجموعان احدهما يشتمل على اشعار حكمية جناها من كتب العرب يُدعى « طرب المسامع في الكلام الجامع » والثاني يتضمن مقالات ادبيّة وفوائد لغويّة يُعرف بقسطرة طوامير طُبع في ڤينّة سنة ١٨٨٠ . وله غير ذلك مما لم يزل مخطوطاً ونتمنّى نشره كمالة ولسة في فنّ المناظرة دعاها « ترويح البال في القلم والمال » ولاسيما تاريخه الكبير الذي دعاه « السيّار المشرق في ديار المشرق » وكان انكونت ينظم الشعر الجيّد كما يُستدلّ عليه من قطرته ومن لاميّته التي ذكرناها . ومما انشده في مدح نابوليون الثالث سنة ١٨٥١ اذ كان في اوج عزّته ولم تُعرف غير سجاياه الطيّبة قوله من قصيدة :

الله اكبرُ مُعطٍ من يشاء فما ... كلُّ المحاسن والاحسان في رَجُلِ
وليس ذا من خلوّ الشعر اذ ظهرت ... للدين انواره كالشمس في الحَمَلِ
فيه المجالُ وسيعٌ للمقال لذا ... قد عاد بسطُ كلامي ضيّق الحِيَلِ
ذو همّة لم يُثبّط عزمها خطرٌ ... ولم يكن لصعابٍ قطُّ بالوكلِ
ولم يضعضعهُ هول الخطب آونةً ... ولم يَضق صدرهُ في حادثٍ جللِ
وبالنواصي قد اقاد الذكاء لهُ ... شهبَ الرئاسة فانقادت على عجلِ
وفي السياسة كم ابدت براعتهُ ... حذقاً به عادت الحُذّاقُ في شغلِ

وختمها بقوله:

ابقاكمُ الله يا فخر الورى فلكًا للسِلْمِ والأمن والاقبالِ والجَذَلِ

وبعد سنتين لموت الكونت رشيد (١٨٩٠) فُجعت الطائفة المارونيَّة بوفاة شقيقه السيِّد نعمة الله الدحداح مطران دمشق الذي اشتهر بفضائله الاسقفيَّة اكثر منهُ بآثار قلمهِ وبهمَّتهِ نال من افضال الكرسي الرسولي تجديد المدرسة المارونيَّة في رومية (١

(اسعد طراد) هو اسعد بن ميخائيل طراد من أسرةٍ شائعة الفضل في هذه الاصقاع ومن نخبة شعراء سوريَّة. ولد في بيروت سنة ١٨٣٥ وتخرَّج في حداثتهِ في مدرسة عبيه الاميركانيَّة ثمَّ تردَّد على الشيخ ناصيف اليازجي فاخذ عنهُ واجتمع بأفضل اساتذة العربيَّة في عهدهِ حتى أتقن العلوم اللغويَّة ونظم الشعر في شرخ الشباب فطُبع عليهِ وكان يقولهُ بديهًا. خدم عدَّة سنين الدولة العليَّة بنشاط ثمَّ انتقل الى مصر سنة ١٨٧٢ وتعاطى في انحائها التجارة الى وفاتهِ سنة ١٨٩١. ولهُ شعر كثير متفرِّق جُمع معظمهُ في ديوان بعد وفاتهِ بهمَّة بعض انسبائهِ فطُبع سنة ١٨٩٩ في الاسكندريَّة. ولهُ غير ذلك من الآثار منها مقالات ادبيَّة نشرها في الجنان. ومن شعرهِ الذي لم نجدهُ في ديوانهِ قولهُ في موت بعض الكرام:

يا ارحمَ الناس قلبًا عند نائبةٍ ... هلَّا رحمتَ عويل الصارخ الوجلِ
دارت عليك من الاقدار وا اسفًا ... كأسٌ فلثتَ بها كالشارب الثَّمِلِ
هذا الشرابُ الذي لا بُدَّ منهُ فتًى ... وليس تمنعُ منهُ كثرةُ الحيلِ
وكيف يجزع اهلُ الارض من حدثٍ ... جرى على انبياء الله والرُّسلِ

ولهُ في نعمة الله طراد المتوفى سنة ١٨٥٥ ولم يُؤرَّخ في ديوانهِ:

ركنٌ ليت طرادٍ مال منهدمًا ... يومًا وابكى جميع الاهل والغُربا
حاز التقى والرضا والبرَّ في دعةٍ ... ورغبةَ الخير والاحسانَ والأدبا
مضى الى الله مبرورًا يحقُّ لهُ ... شكر على صفحات القلب قد كُتبا
كرامةٌ كلّ تاريخٍ مجوّدها ... لنعمة الله حقُّ الشكر قد وجبا

وقال يرثيهِ:

لا تخشَ يا قلبُ احراقًا من الألمِ ... أما ترى دمع عيني مغرقًا بدمِ
كلٌّ يبكي نعمة الله التي فقدت ... منَّا وكم في الورى باكٍ على النعمِ

(١) اقتطفنا هذا الفصل من ترجمة مطوَّلة للشيخ الفاضل والكاتب المحقق سليم خطَّار الدحداح اثبتها في المشرق تحت العنوان «الكونت رشيد الدحداح واسرته» (المشرق ٤: ٣٨٥؛ ٤٥٦؛ ٤٨٩)

وهي قصيدة طويلة وجدناها في احد مجاميع مكتبتنا الشرقيَّة. ويليها ابيات تانيَّة ختمها بهذا التاريخ:

لمَّا خلا من ديارٍ كان يؤنسها فحزنهُ ما خلا من قلبهِ صَبَبُ
وبتُّ انشد تاريخًا بهِ ابدًا لا اعدم اللهُ قلبًا فيضَ نعمتهِ (١٨٥٥)

وقد اشتهر من اسرة طراد شاعر آخر وهو (جبرائيل حبيب طراد) ويسمَّى ايضًا جبران ابا خير كان درس في المدرسة الوطنيـة في بيروت وتمكَّن من نظم الشعر الجيِّد الذي لم يُدوَّن بمجموعٍ. توفي في سنة ١٨٩٢ وكان مولـدهُ سنة ١٨٥٤ فمن شعرهِ قولهُ يرثي اسير يدون طراد باور السلطان عبد العزيز المتوفى سنة ١٨٧٠:

ركنٌ هوى بديار اسلامبولَ اذ رجَّت لسقطتهِ المدائنُ والقُرى
لم يَمْحهِ السيفُ الصقيلُ ولا الصبا والاهلُ والصحبُ الفطاحل والذُّرَى
قد كان يجمع في حماهُ كتائبًا واليوم اضحى في المقابر اقفرا
من كان لا يرضى القصور مساكنًا سكن التراب فبات فيهِ مقفَّرًا
من كان غوثًا للفقير وعاضدًا امسى أضرَّ من الفقير وافقرا
ان غاب عن ابصارنا يبقى لهُ رسمٌ بقلبِ القلب دام مصوَّرًا
فعليهِ نسمةُ ربِّهِ وسلامُهُ وعلى ثراهُ النيثُ يُسكب مطرا

ومن قولهِ في ذكر محامد الفقيد سليم دي بسترس:

على انهُ قد كان احرى بنا بأن نغبِّط من مثل السليم غا سعدا
حصيفٌ قضى دنياهُ في خوف ربِّهِ فحدَّثَ ولا تطلب لأفضالهِ حدَّا
فكم غاث محتاجًا وأطعم جائعًا وعاد اخا سُقمٍ فأوسعهُ رفدا
وكم من ابادٍ جاءها وبكارمٍ فكانت بجيد الدهر من فضلهِ عقدا
علا طيب جدواهُ على الورد نفحةً وذكرُ اسمهِ بالفضل قد زيَّن المجدا
جديرٌ بانَّ الفخر يشكو فراقهُ ومنهُ رواق الفخر قد كان مستدَّا

(جرجس زوين) وفي السنة ١٨٩٢ في ٢٨ تموز كانت وفاة كاتب آخر بليغ من أسرة مارونية فاضلة وهو جرجس زوين. تلقَّى المذكور كل دروسهِ عندنا في مدرستنـا الاكليريكية في غزير ثم عدل الى الكتابة والتأليف فكان اوَّل محرِّر لجريدتنا البشير فاقام على تحريرها نحو سبع سنوات ثم تولَّى تحرير جريدة لسان الحال وفي آخر حياتهِ جريدة لبنان. وكان كاتبًا مجيدًا متوقد الذهن سريع الخاطر واسع الاطلاع. وقد عرَّب عدَّة كتب طُبعت في مطبعتنا كروايتَي وردة المغرب وفريدة المغرب وكتآليف دينيـة

منها مصباح الهدى لمن اهتدى وكتاب روشق الافكار لأمبرتوس وكتاب كنيسة الروم الشرقية بازاء المجمع المسكوني الفاتيكاني. وله تأليف ردّ فيه على الدكتور ميخائيل مشاقة لمّا اخذ هذا يطعن بالكنيسة الكاثوليكية دعاهُ الردّ القويم على ميخائيل مشاقة اللئيم. وكان جرجس زوين احد اعضاء الجمعية السوريّة له فيها خطب ومقالات منها خطبة في تاريخ سوريّة

(جبرائيل الدلّال) وفي هذه السنة عينها ١٨٩٢ ذهب ضحيّة آرائهِ الدستوريّة جبرائيل الدلّال. كان سليل اسرة حلبية عريقة في الادب وكان جدّهُ عبدالله ذا عزّ وجاه وتُقى فلمّا توفي سنة ١٨١٧ ارّخ ضريحهُ بطرس كرامة بقولهِ:

لحدٌ ثواهُ ابن دلّال التقى فغدا برحمة الملك القدّوس مسرورا
قضى الحياة على نهج الصلاح وقد لاقى المنيّة مبرورًا ومشكورا
ناداهُ ربٌّ غفور اذ نورخهُ تَلْ جنّة الخلد عبد الله مسرورا

ولابيهِ نصرالله آثار ادبية منها مقالاتهُ في المال والاعمال نشرها في الجنان وكان بيتهُ اشبه بمنتدى لعلماء وطنهِ يجتمع فيهِ الشعراء والادباء فمدحهُ بعضهم بقصائد غرّاء ولنصرالله كتاب فلسفة دعاهُ آثار التدقيق في اصول التحقيق. ولد جبرائيل بن نصرالله في ٢ نيسان سنة ١٨٣٦ ونشأ على آداب والدهِ ودرس في مدارس المرسلين في عين طورا وحلب وكان مغرمًا بالعلوم العصريّة فاحرز منها حصّة حسنة وانكبّ على الفنون العربية ودرس آثارها نثرًا ونظمًا فصار من اوسع اهل وطنهِ معرفةً بآداب العرب. وسافر غير مرّة الى الاستانة وتعلّم فيها التركية وتجوّل في الاقطار حتى بلغ اسبانية والبورتغال وبلاد الجزائر وحطّ عصا التسيار في باريس فحرّر مدّة صحيفة « الصدى » لسان حال السياسة الفرنسويّة وصار ترجمانًا لوزارة المعارف وتعرّف في منصبهِ بكثيرين من اهل الوجاهة القادمين الى باريس. ثم استدعاهُ الوزير خير الدين باشا لما تُقلّد منصب الوزارة الى دار السلطنة ليُنشئ فيها صحيفة السلام لكنّ تلك الجريدة لم تلبث ان تُلغى بعد استقالة خير الدين باشا فطلبهُ المكتب الطبي في ڤيانّا ليدرّس العربية في كليّتها فعمل مدّة سنتين. وصنّف هناك بعض المصنّفات منها رسالة في ملخّص التاريخ العام ورسالات لغويّة. ثم عاد الى وطنهِ سنة ١٨٨٤ بعد تقيّيهِ منهُ نحو عشرين سنة. فبقي مدّة يتعاطى الآداب وهناك اجتمعنا بهِ سنة ١٨٨٧ ونقلنا بعض مخطوطات مكتبتهِ. وما كنّا نظنّ

بانَّ هذه المكتبة ستُباع يوماً ويقع في يدنا كثير من آثارها . . وكأن صاحب الترجمة لاختلاطهِ باهل السياسة في اوربة عرف ما تقتضيهِ بلاده من الاصلاحات ففرط منهُ بعض اقوال نُقلت الى ذوي الامر فأُلقي في الحبس وبقي هناك الى يوم وفاتهِ في سنة ١٨٩٢ وقيل انهُ قُتل مسموماً في اليوم الذي جاء الامر باطلاقهِ والله اعلم . وكان بين جبرائيل الدلّال وبعض مشاهير العصر وشعرائهِ مراسلات ومساجلات . ولهُ قدود غناء وكان بارعاً باصول الموسيقى . وقد جمع الاديب البارع قسطاكي افندي الحمصي ما وجدهُ من آثارهِ الادبية في كتاب دعاهُ السحر الحلال في شعر الدلّال وصفناهُ في المشرق (٦ : ٨٥٩) واقتطفنا بعض جناهُ . ولهُ فيهِ قصائد غرّاء مدح فيها علية زمانهِ فمن ذلك قصيدة نظمها في ناصر الدين شاه ملك ايران قال في جملتها في مدح السلم والعدل :

فالسِلمُ اوفى واقياً ولثروة البلدانِ اوفرْ
والعدل ان عمّ الما لك شاد علياها وعمّرْ
والباقياتُ الصالحا تُ على مرور الدهر تُذكرْ

ومن طيّب نثرهِ ما روي لهُ هناك من جواب الى صديق :

كتبتُ اعزّك الله وقد وصلني طرسُك الذي فاق الدرّ النضيد ببهجتهِ . وازرى على رخيم التغريد بلهجتهِ . وانّي لأحقُّ بابتدائك بما ابتدأتني بهِ من الصلة تفضُّلاً ولكن قُدّر لك عليّ السبق وان تكون في كل شيءٍ اوّلاً فلساني عاطر بشكرك . وقلبي عامر بذكرك . غبتَ او حضرتَ سرتَ او أقمتَ . فوالله لم اذكر ايّام اللقاء ولذّاتها الّا وطارت نفسي شعاعاً . ولا تخيّلتُ ساعات الوداع وكربتها الّا وزادني الشوقُ التياعاً . . . فان تأملتُ قصر مدّة الفتها هاج بي الشوق آلاماً . وان تذكّرتُ حميم صحبتنا زادني التذكار هياماً . واذا فكّرتُ في فرقتنا قلت ما كان اللقاء الّا مناماً

(لها بقيّة)

هباسيا والقديس كيرلُس

للاب فوران لافلي مدرس التاريخ في كليّة القديس يوسف

هباسيا ! . . وما هباسيا ! . . وما ادراك ما هباسيا ! . . فان كنت ايها القارئ الغمر تجهل مَن هباسيا دونك جهينة الاخبار امين افندي ريحاني . . . فانهُ نقّب في زوايا المكاتب فأجهد فكرهُ واسهر عينهُ وقلّب بطون الدفاتر فوجد ضالّتك . وما هو

قد خصّ بوصف هباسيا ثماني صفحات من مجلّة تدعى الحسناء. وقد زعم انّهُ يتحاشى في مقالتهِ القصص الخياليّة ولا يريد الّا ان يسطّر تاريخًا حقيقيًّا فيبعث في قلوب الاوانس عواطف الاسف والحنان على عذراء مظلومة فيُنسيهن ابطال الاقاصيص الغربيّة (الرومان) ويا ليتهُ فعل ولم يأتنا بالاساطير المنثريّة

ثم استحلف السيّدات بان يتّبعنهُ الى مدرسة الاسكندريّة في العشر الثاني من القرن الخامس وهناك عرض عليهنّ تمثالًا حيًّا للفضائل افاض في مدح مناقبهِ ألا وهي « فيلسوفة بتول » تُدعى هباسيا وكان الاولى بهِ ان يكتب اسمها هيباتيا (Ypatie) لكنّ الريحاني لا يعرف اليونانيّة وانّما هو ناقل يزجّ بهِ نقلهُ في مغاوي الضلال كما سترى

ثم قال الراوي (المنثري !) انّ هباسيا هذه كانت زينة الاسكندريّة وكانت وثنيّة ورُزقت في علم الفلسفة الافلاطونيّة وبرعت في مجرى ابيها ثيون الوثني « وكانت تلقي الدروس على الالوف من الطلبة وفيهم الاعيان والاغنياء واللاهوتيّون » وذكر من جملتهم « اسقف عكّا سينيسيوس الذي كان اوّل من اعترف بفضلها وعلمها . وظلّت الصداقة بين الفيلسوفة الوثنيّة والاسقف المسيحي تقيّة الاسباب وثيقة العرى فلا هباسيا اعتنقت الدين المسيحي ولا سينيسيوس خلع ثوبهُ الكهنوتي » وختم الكاتب البارع هذا الفصل بوصف جمال هباسيا واقتناعها بالملبوس البسيط واعراضها من « المودات ». وكل ذلك مع ما يتضمّن من المبالغة لا نُحاجّ فيهِ كاتبنا الريحاني فنحن نسلّم بمقام الفيلسوفة هيباتيا وسعة معارفها بين علماء عصرها . وفي اعتبار الاسقف سينيسيوس (Synésius) لتلك المرأة احسن دليل على انّ النصرانيّة لا تضطهد العلماء لاجل دينهم وبهِ الكفاية لأن يعرّف الريحاني انّ ما اعدّهُ في كنانتهِ من النبال لرشق النصارى اخوتهِ ولاسيما اعد اكبار انتهم القديس كيرلس الاسكندري لا سند لهُ

ثم قال الراوي (من رواة بني هلال)

« وبعد ان خدمت العلم والفلسفة اربعين سنة ماتت موت الشهداء على افظع طريقة وانكرها »

ثم افتتح الراوي (ابو زيد) هنا فصلًا ذكر فيهِ القديس كيرلس الاسكندري بهذا العنوان « سيريل البطريرك » فنسب اليهِ « التعصّب والمعاندة والمكابرة » واكّد انّ صدرهُ أُوغر « حسدًا لمجد هباسيا بحيث لم يطب لهُ عيشًا (كذا) ولم يسغ لهُ

شراباً (كذا) » ثم وصفهُ كحاكم ظالم استعان بفرقة من الجند « لطرد اليهود ونهب بيوتهم ومعابدهم وتدميرها » . وزاد على كل ذلك انَّ سيريل اثار ثورة في الاسكندريَّة اودت بحياة ابنة ثيون . وهنا فصَّل الكاتب خبر قتل الفيلسوفة على يد جمهور من الرعاع الذين تعرَّضوا لها في طريقها فاستطوها من عَرَبتها وقطَّعوا جسمها اربًا » وذلك في اذار سنة ٤١٥ على عهد الملك ثيودوسس (كذا) الثاني » وختم الخبر بقولهِ انَّ « ما من احد من المؤرخين يرتاب في انَّ سيريل هو العامل الخفي على قتل هباسيا . وقد قال تيودورت وهو من آبا الكنيسة المشهورين انَّ لسيريل يداً خفيَّة في هذه الجريمة . وقال غيرهُ ان لم تُقتل هباسيا بامر واضح من سيريل فقُتلت بعلمهِ وارادتهِ »

وقدَّم الريحاني (المؤرخ الهلالي) على هذا التفصيل بيان سبب قتل سيريل لهباسيا فقال انَّ الخلاف بينهما لم يكن فقط « نزاع بين العلم والجهل . بين التعصُّب والفلسفة . بين الحرِّيَّة والاستبداد . بل هو خلاف بين العذراء الوثنيَّة التي أسَّست حياتها على فضائل الدين المسيحيّ دون ان تعتنقهُ وبين البطريرك المسيحيّ الذي استخدم الدين واسطة لشفاء غليلهِ ونيل مآربهِ » (كذا ! !)

تلك دعوى الريحاني على كيرلس الاسكندري . وما ادراك مَن كيرلس ؟ احد ملافنة الكنيسة الشرقيَّة العظام الذي اجمع الشرق والغرب معاً على اكرامهِ لسموّ فضلهِ فجعلهُ الريحاني رجلاً اثيماً بل حاكماً جائراً بل ذئباً خاطفاً سنَّاكاً للدماء . فما قولنا ؟

نجيب (اولاً) على امين ريحاني أنَّنا لا نصدِّق قولهُ دون سند تاريخيّ ولاسيما انهُ عوَّدنا اختلاق التاريخ على هواه تبعاً لبغضهِ للدين (اطلب المشرق ١٢ : ٦٣٩ و ٧١٦)

(ثانياً) وفي هذه المقالة اراء ضعيفة باطلة بل قلَّ اغلاطاً فظيعة تدلّ على انَّ الكاتب انَّما ينقل (على العياني) عن كتبة ملحدين مثلهُ كلُّ غايتهم الثلب والطعن في كنيسة الله وقديسيها . فمن اغلاطهِ الظاهرة : ١ً قولهُ انَّ « هباسيا خدمت العلم والفلسفة اربعين سنة » والكتبة مجمعون على ان مولدها كان نحو سنة ٣٧٠ . وعلى قول الريحاني انها قُتلت سنة ٤١٥ ومن ثمَّ ينبغي القول بانَّها في الخامسة من عمرها كانت تخدم العلم . ٢ً ثم قولهُ « انَّ عمرها تجاوز الخمسين لمَّا ارتقى البطريرك سيريل الى كرسي البطريركية » . ومن المعلوم انَّ القديس كيرلس نال البطريركية في السنة ٤١٢ فتكون عاشت هباسيا ٥٣ سنة لمَّا قُتلت وهذا مخالف لكلّ الروايات . ٣ً قال الريحاني ان

سينيسيوس الاسقف كان يحضر دروس هباسيا الفيلسوفة . والصواب انَّ سينيسيوس قبل اسقفيَّته كان وثنيًّا ولم يحضر دروسها الَّا في زمن وثنيَّته وانَّما داوم فقط بعد ذلك على مكاتبتها . ٤ً زعم الريحاني انَّ سينيسيوس كان اسقفًا على عكَّا . وقد خُدع باسم « Ptolémaïs » الذي يدلُّ على عدَّة مدن في بلاد مختلفة . منهـا هذه المدينة التي هي احدى المدن الخمس (Pentapole) في ليبية فلا علاقة بين سينيسيوس وعكا . ٥ً شطَّ الريحاني بقوله انَّ اللاهوتيين كانوا يحضرون دروس هباسيا الوثنيَّـة . ٦ً شطَّ ايضًا بقوله ان « ثيودورت » نسب قتل هباسيا الى سيريل . فانا راجعنا كل اعمال ثيودورت فلم نجد لشهادته اثرًا . فان كان صادقًا فليدلَّنا على سنده . ولعلَّـهُ خلط بين « ثيودورت » و « ثاوفان » فانَّ ثاوفان ذكر قتل هباسيا لكنَّهُ لم ينسبهُ البتَّـة الى سيريل بل الى « البعض » . ٧ً وليس في التاريخ ملك رومـاني يدعى ثيودورس لكنَّ الريحاني اساء قراءة الاسم بالكتاب الملفَّق الذي راجعـهُ فقرأ Théodore ثيودورس والصواب Théodose ثاودوسيوس . ٨ً جعل العلم كلهُ في هباتيا ونسب الجهل الى كيرلس . وليس في يدنا كتاب واحد من تآليف هباتيا لنعرف مبلغها من العلم . امَّا اعمال كيرلس الباقية فتكفي لتشريف مئين من الرجال

فهذا مبلغ علم الريحانيّ الذي قام للتشنيع على احد انوار الكنيسة اليونانيَّـة فرماهُ بشكاوى لو صحَّت لاستحقَّ ان يُرذل في عداد المجرمين لا ان يُكرَّم كاحد اولياء الله . وان سألت عن الخبر الصحيح رويناهُ هنا عن المعاصرين

فنقول انَّ القديس كيرلُّس لمَّا خلف عمَّهُ ثاوفيل على كرسيّ الاسكندريَّة اظهر من الغيرة والنشاط ما اثار عليه بعض اعداء الكنيسة واوَّلهم اليهود . اخبر سقراط معاصر القديس في تاريخهِ (ف ١٣) ان اليهود اخذوا يسخرون بدين النصارى ويشخصون في المراسح الرتب المسيحيَّة لاستهزاء بها وحرَّكوا حاكم البلد اورستس على احد النصارى من خدَم كيرلُّس فضربهُ بالسياط ظلمًا فاخذ كيرلس بناصرهِ وكان ذلك فاتحـة العداوة بينـهُ وبين الحاكم . ثم طلب البطريرك من ارباب اليهود ان يكفُّوا عن سوء اعمالهم لئلَّا يثور عليهم النصارى . اما اليهود فازدادوا شرًّا وهجموا على المسيحيِّين احدى الليالي فقتلوا ونهبوا فلمـا كان الصباح ورأى النصارى ان الحاكم لا يدافع عنهم اثَّأروا من اعدائهم وضبطوا جرائمهم وطردوهم من البلـد . فزاد حنق الحاكم على

كيرلس واوقف احد الرهبان المنتمين الى البطريرك فقتلهُ فصارت المدينة حزبين حزب الحاكم ومعهُ الوثنيُّون واعداء النصارى وحزب المظاومين . فسعى القديس كيرلس بتسوية الخلاف حيناً وذهب الى بيت اورستس وبين يديه الانجيل الطاهر واستحلفهُ بالله ان يكفَّ ايدي الاوباش ويجمع القلوب بالعدل والوئام . فلم يرضَ الحاكم وأصرَّ على عدائه

قال سقراط في تاريخهِ (ف ١٥) وكان وقتئذٍ في البلد امرأة شهيرة تدعى هيباتيا كانت تعلّم فلسفة افلاطون على طريقة بلوتينوس واصابت سمعةً كبيرة في تعليمها . فهذه كانت صديقةً للحاكم تتردَّد عليهِ فيكرمها . فلمَّا رأى البعض انَّ هذه الفيلسوفة تُكثر من زيارة الحاكم نسبوا اليها ايثار صدر اورستس ومَنعها لهُ عن مصالحة كيرلس . وكان بين النصارى جماعة من طبقتهم العاميَّة يدعون « پارابولان » يعتنون بالمرضى وهم عصبة من العلمانيين الَّا أنهم تحت رعاية الكنيسة فهؤلاء اجتمعوا يوماً ورصدوا لهيباتيا عند خروجها من بيت اورستس فهجموا عليها ورموها من عرَبتها وسحبوها الى كنيسة قريبة وقتلوها هناك ثم احرقوا جثَّتها

فهذا العمل الشنيع سيَّئةٌ تشفي القوم ممَّن اعتبروهـا سبباً للنزاع ليس الحسد ولا التعصُّب وقد تمَّ بدون رضى البطريرك بل بدون علمهِ . نعم انَّ سقراط ختم هـذا الخبر بقولهِ « انَّ تلك الجريمة اثارت البغضاء على كنيسة الاسكندريَّة وعلى كيرلس اسقفها » الَّا انهُ لم يقل ان كيرلس كان سبب موت هيباتيا ولو كان الامر كذلك لما سكت عنهُ لانَّ سقراط كان ينقم على كيرلس مناهضتهُ لشيعة النوفاطيين الذي هو كان منها . ولنا عدَّة ادلَّة اخرى على انَّ كيرلس لم يشارك القتلة بفعلهم

١ انَّ عموم اهل الاسكندريَّة التمسوا من البطريرك كيرلس ان يبقى في المدينة لئلا يزيد الهرج والمرج بين الاحزاب . وما كانوا ليفعلوا لو كان لهُ يدٌ في الجريمة

٢ قد رفع الاسكندريُّون الامر الى الملك ثاودوسيوس وطلبوا ان يجعل حدَّاً لشرّ فرقة البارابولان فكتب الملك في ذلك منشورين واوعز الى القديس كيرلس والى الحاكم معاً بان يشدّدا على هذه العصبة . فلو كان كيرلس موافقاً لهم لأشار الملك الى فعلهِ ولَما وكَلَ اليهِ نظارتهم

٣ انَّ الاعداء الكثيرين للقديس كيرلس كايزيدورس البلوزي والكتبة

النساطرة وغيرهم كثيرين قد نددوا باعمال القديس كيرلس الاسكندري وما من احد منهم اشار الى قتل هيباتيا. فسكوتهم دليل واضح على براءته

٤ وكذلك الكنيستان الشرقيّة والغربيّة عظّمتا في كل وقت فضائل القديس كيرلس ولو كان اجترح اثماً كهذا لما سمحتا باكرامه البتّة

هذا وعلم انّ احد الوثنيين المسمى داماسيوس الذي عاش بعيد كيرلس بمائة سنة نسب قتل هيباتيا الى البطريرك. لكنّ شهادتهُ مجروحة وانّما اراد ان ينتقم من النصارى لمّا قضى عليه الملك يستنيان بالغاء تعليمه الوثني في الاسكندريّة. وكان داماسيوس يُعرَف بتعصّبه البالغ للوثنيّة. والذين نسبوا جريمة قتل هيباتيا الى كيرلس انّما نقلوا عنهُ دون تروٍّ. وفي هذا كفاية للردّ على الريحاني اثار الله عقلهُ

السرّ المَصون في شيعة الفَرْمسون

مقالة تاريخيّة ادبيّة عمرانيّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٥ النظام الماسوني

طُبع الانسان على الرغبة في معرفة الاسرار المحجوبة فلا يزال يسعى في طلب المكنونات ريثما يطّلع عليها او يميط جانباً من الستر الذي يصون حرمتها وهكذا جرى في الماسونيّة فانّها مهما ضاعفت الظُلمات حولها وشدّدت على اصحابها في حفظ اسرارها وقف اخيرًا اهل البحث على دفائنها وعرفوا نظامها. وها نحن في الصفحات التالية نفصّل هذا النظام ونتتبّع الاقسام التي يتركّب منها هذا البناء الغريب ونبيّن ائتلافهُ واختلافهُ وموارده ومصادرهُ فيظهر لكلّ ذي عين زورهُ وبهتانهُ

اعلم ان النظام الماسوني على شبه دار واسعة لها الواجهة المهيبة ثم وراءها الطبقات المتّسقة مع الدواوين العموميّة والنوادي الجامعة والغرف الخاصّة والقصورات المصونة والحجر المقفلة. ثم لهذه الدار مطامير واسراب ومتاه ومضلّات لا يدخلها الّا الخاصّة الخاصّة ويضيع فيها من لم يعرف مسمّياتها ومهالكها. وعليه نقسم هذا الفصل ثلاثة ابواب ففي الاوّل نصف واجهة الماسونيّة وظاهرها. وفي الثاني نعرّف نظامها العمومي في محافلها وطقوسها ومجتمعاتها السنويّة. ونخصّ الثالث بالماسونية الخفيّة التي تتوارى عن

كل عيان فترى ولا ترى ومنها تأتي كل حركة وتصدر كل الاوامر متحدّرة من عـلّ درجةً درجةً حتى تبلغ الى الطبقات السافلة فهي كالبخـار غير المحسوس يضغط بقوّته على مصارين الآلة الى ان يدفع كل اقسامها الى العمل . فالخبايا على الاخصّ مترويّة في تلك الزوايا . ثم ان لكلّ بيت خدماً وعمّالاً الذين ليسوا من اهلـه لكنّهم تحت ادارتهم . فكذلك الماسون يحكمون على احزاب وجمعيّات ليست منهم لكنّها تتحرّك بروحهم وتنقاد لحكمهم فنفرد لتعريف هؤلاء ايضاً باباً رابعاً

الباب الاوّل

واجهة الماسونيّة

جاء في مثل : ليس قبيح الّا وظاهرهُ احسن من باطنه . ومن عادة السمج المشوّه الصورة ان يكتم قباحتهُ تحت حجاب لطيف . وقد قال الرسول بولس عن ابي القباحة وشيخ النار انّهُ لا يخدع البشر الّا تحت صورة رضيّة بهيّة فقال (رسالة ٢ كور ١١ : ١٤) : « انّ الشيطان نفسهُ يغيّر هيئتهُ الى هيئة النور » . فعلى هذا المثال ترى الماسونية في بعض رجالها واعمالها الخارجة تتصرّف تصرّف ذوي الشهـامة واصحاب الصلاح ومحبّي الخير العام فيا ليتها تثبت على ذلك فلا يصحّ في ذويها قول الربّ انّهم كالقبور المكلّسة التي في باطنها النتانة والفساد . فمن اثارهم تُعرَف حقيقتهم

وممّا يفتخر بهِ الماسون ان بينهم الاعيان والامراء والشيوخ ومشاهير الرجال وانّ بعض الملوك او ابناءهم يرأسون الماسونية هذا ومن دأب تلك الشيعة ان تطلب لها من كل بلد بعض الوجوه الذين يعتبرهم النـاس لمقامهم فلا تزال تسوّل لهم الدخول في الماسونية وتمنّيهم بالاماني الباطلة الى ان تضمّهم الى فئتها الّا انها غالباً لا تشركهم في شيء من اسرارها ولا تجعل فيهم ثقتها . وانّما غايتها من نظمهم في سلكهـا أنْ تتباهى بهم امام الناس حتى اذا قرّعها أحد باعمالهـا الشائنة استترت بهم . فهؤلاء الذوات اشبه بالطُعم لاصطياد السمك او هم كالعصفور « الشويكي » الذي يتخذهُ اللبنانيّون ليصطادوا بهِ اغزار العصافير وخشاش الطيور . ولنا على قولنـا ادلّة متعدّدة تكتفي بشهادة او شهادتين :

---

(١) اطلب Claudio Jannet : *L'action des Sociétés Secrètes au XIX siècle* p. LXXXVII.

قال مازيني احد ائمة الماسونيّة الايطاليّة في معلوماته السرّيّة التي وجّهها الى الماسونيين الايطاليين سنة ١٨٤٦ : «انّنا لا نستطيع ان نبلغ غايتنا من الاصلاح (يريد الثورة الايطاليّة) الّا بواسطة الاعيان ليستسلم اليهم الشعب فهؤلاء الكبار والامراء هم على شبه الاجازة والتذكرة (بـاسبورت) يفتحون لنا الباب فضمّوهم الى الماسونية وأيّاكم ان تكشفوا لهم غايتنا (اي الثورة والانقلاب) لئلّا ينفروا منّا »

وقال احد اليهود من اعضاء الشورى الماسونية سنة ١٨٢٢ في رسالة وقفت عليها الحكومة البابويّة في جملة اوراق اخرى تُصان اليوم في مكتبة الفاتيكان : « اعظموا في محافل الماسونية ما امكنكم من السادة والامراء والاغنياء ولا تألوا جهدًا في التمويه عليهم وتمليقهم . . . فانّهم اذا دخلوا كانوا في ايدينا كادوات نديرها كيف شئنا »

ولمّا عيّن نابوليون الثالث البرنس لوسيان مورات (L. Murat) كرئيس اكبر لشرق فرنسة الاعظم كتبت جريدة العالم الماسونيّ السرّيّة (ج ٦ ص ٤١١) : « على الماسونية ان لا تثق بغير قوّتها ولا تستند الى غير نفسها . امّا اذا قضت الظروف بأن يتولّى عليها احد الملوك او الامراء فلتفرغ جهدها بان تتخلّص من نيرهم ولا تهتمّ كثيرًا بسلطتهم فانّهم كبقيّة الافراد وهم منبع الشرّ »

وكثيرًا ما رضي الملوك والامراء برئاسة الماسونية ليس اعتبارًا لها ولا طلبًا للتشرّف بها ولكن ليمدّوا عليها سيطرتهم وليقووا على كبح جماحها بحقّ رئاستهم عليها . والبعض منهم ابرا هذا الامتياز ورفضوه لعلمهم بأنهُ لا يشرّفهم البتة كما جرى لغليوم الثاني امبراطور المانيا الحالي فانّ جريدة بوهوت لسان حال المحافل الماسونية الالمانية اوردت هذا الخبر بأسف فكتبت في احدتها ما عرّبتهُ جريدة البشير (في عددها ١٣٢ الصادر ١٤ آب ١٨٨٨) وفيه دليل على نفور غليوم الثاني من الماسونية قبل تملّكه وبعده

بانّنا انّ محافل هديدة قدّمت للامبراطور فريدريك الثالث (الامبراطور السابق) عرضًا تلتمس فيهِ منهُ ان يعيّن واسطًا ينوب عنهُ في حماية الماسونيّة وبما انّ ولي العهد (اي غليوم الثاني) كان يسيء الظنّ في الماسونيّة اساءةً لا يمكن قلعها من عقلهِ أمّل الماسون انهُ يعيّن لهذه الحماية اخاهُ البرنس هنري لكنّ المصاعب ايضًا حالت دون ذلك لأنّ في عقل البرنس هنري مثل ذلك الظنّ السيّء . وفي هذه الايّام تقدّم احد الرجال من ذوي النفوذ الكلي وسعى لدى الامبراطور غليوم الحالي ليقبل هذه الحماية لكنّهُ لم ينل منهُ جوابًا »

وللماسون ما خلا هذا الافتخار غاية أخرى في سعيهم بجلب كبار الناس اليهم وهي

غاية مالية فانهم يعدّون الامراء والاغنياء كبقرات مُعدّات للحَلب ليترفوا اكياسهم ويستخرجوا دراهمهم لترويج غاياتهم. قال ويسهوبت (Weishaupt) احد منشئي الماسونية في شرحه على درجة الفارس الاسكتلنديّ: « انّ بين الاغنياء اناساً بُلهاً ومعتوهين (مجدوبين) يجب تعظيمهم وتمليقهم ولا بأس من نظمهم في درجاتنا العالية ايضاً فانّا في حاجة اليهم ليس لاشخاصهم ولكن لدراهمهم ليملأوا صناديقنا ذهباً. فاصطادوهم في سنّارتكم واياكم ان تعلموهم بشيء من اسراركم الخفية »

على انّ الماسون لا يكتفون بهؤلاء الامراء والذوات الذين اوقعوهم في فخاخهم بل كثيراً ما تراهم تفخيماً لواجهة الماسونيـة وابتغاء المكر بالبسطاء يزعمون انّ في جماعتهم رجالاً من نخبة الاكليروس والرهبان وانّ بعضاً من الاساقفة انضمّوا من اعضاء شيعتهم. على انّ كذبهم في هذه الاقوال صريح في اغلب الاحيان وربّما وقف عليه الناس بعد البحث والتحقيق. ومن مثال ذلك انّهم اشاعوا انّ يوس التاسع ثمّ لاون الثالث عشر كانا من الماسونية فما استفادوا من كذبهم الّا خجلاً وعاراً. وهذا مثال آخر على كذب الماسون في نسبتهم الى شيعتهم رهباناً من جمعيتنا وقد اقرّوا مراراً عديدة ان اليسوعيين الدّ اعدائهم فلم يمكنهم قطّ ان يصطادوا في حبالهم واحداً منهم. قال « رئيس اعظم شرق مقام المقد الملوكي باليتويس في الولايات المتحدة الاميركية (يا لله) وعضو ... وعضو ... ورئيس ... وموسس محفل اللطائف ... الخ ». شاهين بك مكاريوس » في كتابه « فضائل الماسونية (كذا) » ص ١٢٩ ما حرفهُ:

الجزويت ماسون (كذا)

ومماّ اتذكّرهُ انّنا حينما كنّا نجتمع في المحافل الماسونيّة في بيروت كان يجتمع معنا جماعة (!!) من رهبان الجزويت وكنتُ استغرب دخولهم الماسونيّة وسألتهم مراراً عن دخولهم فيها وقلتُ لواحد مرّة. لا تؤاخذني اذا اعتقدتُ انك جاسوس جزويتي لاني اعهد انّ الجزويت يكرهون الماسون ويعملون على مقاومتها وخرابها. فتبسّم وقال: اني اعذرك على فكرك فاني اقاسي في هذه الرهبنة اعظم انواع الآلام واودّ الخروج منها في اوّل فرصة تسنح وقد لاقيتُ في هذه الاثناء مقاومة لأنّ رئيسي شعر بميلي الى الماسونية واخشى ان ازور المحفل جيّتي الاكليريكيّة لذلك اغيّر لباسي كما تراني جيّة افرنجيّة. فسألتهُ اذا سألك رئيسك: هل انت ماسوني بماذا تجيبهُ. فقال: أيسوعيّ ويسر عليه. الجواب؟ فضحكنا وفاطم احد الاخوان حديثنا. واجتمعنا بعد ذلك مراراً على صفاء وهناء وما زلنا حتى افترق كل منّا الى بلاد »

قلنا بل أغرّبنا نحن بالضحك من هذه « الخرطة الماسونية » التي جرى فيها الزاري مجرى المعلّم الماسوني ڤولتار القائل : « اكذبوا اكذبوا فلا بدَّ ان يعلق بعض التأثير من كذبكم » . وان كان شاهين بك مكاريوس صادقاً فليجبنا مَن كانت تلك « جماعة الجزويت » التي رآها في محل الماسونية ؟ وما اسماؤهم ؟ ونكتفي بذكر واحد منهم فقط . والّا اضطرّنا الامر ان نقول عنهُ انهُ كاذب افّاك

هذه واجهة الماسونية فدعنا الآن ندخل في الدار فنفحص محتوياتها لنرى ما تحتويه من الكنوز والدفائن (البقية لعدد آخر)

مطبوعات شرقية جديدة

Histoire de Deux Revues Françaises « La Revue Bleue et la Revue Scientifique » 1863-1910 par Jacques Lux, *Paris, rue de Châteaudun*, 1910, p. 36.

تاريخ المجلة الزرقاء والمجلة العلمية

هذه السنة السابعة والاربعون منذ ظهور هاتين المجلّتين الفرنسويّتين اللتين انشأهما المسيو اوجان يونغ (Eug. Yung) سنة ١٨٦٣ ولم يزل يفرغ كنانة الجهد في توسيع نطاقهما وتحسين انشائهما وتوفير عدد كتبتهما لاسيما من مشاهير بلاده حتى بلّغهما عند وفاته في كانون الاوّل من سنة ١٨٨٧ الى النجاح المرغوب ولم تزالا من بعده حاصلتين على شهرة واسعة بما تحتويانه من المقالات المتعدّدة على اختلاف غايتهما . فالمجلّة الزرقاء تتضمّن غالباً مقالات ادبيّة وتاريخيّة واجتماعيّة اما المجلّة العلميّة فغايتها خصوصاً نشر المقالات العلميّة في العلوم العصريّة . وقد اختصر تاريخ كلتيهما المسيو جاك لوكس في كراسة ارسلها الينا مع بعض اعداد المجلّتين . وكنّا نعرف سابقاً خطّتهما فلا ننكر انّها تتضمّنان الفصول المستفيضة في كل فنون المعارف بقلم الكتبة الذين يُشار اليهما بالبنان في عصرنا . لكنّنا مع اقرارنا بالخدم التي ادّتها كلتا المجلّتين لا يسعنا الّا ان نُعلن ايضاً اننا نأسف لما تنشرانه من المقالات المناقضة لتعاليم الكنيسة بقلم قوم من خصومها كزيمان واناتول فرنس وغيرهما . ومن ثم لا نذكر المجلّتين الّا بالتحفّظ التام وتحذير الشرقيين من روحهما الذي يتقلّب في المدد الواحد بين الكتبة الصادقين والمستهيي الآراء والكتبة الذين لا يكترثون لوصايا الدين

ل . ش

R. P. Barnabé Meistermann O.F.M. : Guide du Nil au Jourdain, *Paris*, 1909, pp. 381.

الدليل من النيل الى الاردن

لا تكاد تمرّ سنة بعد سنة الّا ويتحفنا حضرة الاب العلّامة برنابا الفرنسيسي ببحث تاريخيّ او بنبذة علميّة عن الآثار المقدّسة. على ان دليلهُ هذا الاخير لمن المؤلفات الاكثر فائدة والالذّ مطالعة غايةً وصف الآثار التاريخيّة وتقريب معرفتها وتسهيل زيارتها على السائح الراغب في اتّباع خطوات بني اسرائيل من ضفّة النيل الى ارض الميعاد مارًّا على البحر الاحمر فجبل سينا فالعقبة فعمّان فمن فالكرك فمادبا فأريحا فالسلط الخ. وفي كل محطّة من هذه المحطّات يجد القارئ في الدليل مرشدًا سهل المورد وهاديًا صادق العلم يصف لهُ المشاهد اكمل وصف وأدقّهُ ويقودهُ بافضل السبل وأقربها فلا يدع حادثًا او رسمًا او أثرًا الّا يعرضهُ كاشفًا القناع عن كثير من الحقائق والتقاليد مثبتًا ما يراهُ حريًّا بالاثبات تاركًا للبحث ما لا يزال موضوعَ البحث ولم يصف فقط حضرة الاب الفاضل هذه المزارات بعد معاينتها لكنهُ طالع كل ما كتبهُ العلماء والسياح الفاتحين لهذه المفاوز فاستفاد كثيرًا من اقوالهم واوصافهم ورسومهم واحكامهم واستخلص زبدتها فعرض نتيجة ابحاثهِ وابحاثهم مزيّنة بالرسوم العديدة والخارطات المتقنة فاستحقّ ثناء كل من لهُ المام بهذه الاسفار وشكر الراغبين في ترقي المعارف الكتابيّة خصوصًا والشرقيّة عمومًا

ا. ر

La F.·.—M.·. et l'Ouvrier, par Henri Hello. *Paris, La Renaissance Française*, 1909, pp. 101.

الماسونية والفعلة

يعرف الماسون انّهم لا يبلغون غاياتهم السيئة من تهييج الفتن وقلب الهيئة الاجتماعية ومعاداة الدين واهله الّا بواسطة الفعلة فلا يألون جهدًا في اجتذابهم الى آرائهم الثوريّة فيخدعونهم بالاماني الكاذبة والمواعيد الباطلة وبالخطب المزيّفة الى ان يُضحوا في ايديهم كآلات صمّاء يرمون بهم في الفوضى ويُفقدونهم شرفهم وصحّة اجسادهم وخلاص نفوسهم. وهذا ما بيّنهُ صاحب الكتاب المُعنون بالماسونيّة والفعلة فاتى بشواهد لا تُحصى من اقوال زعماء الماسونيين اثباتًا لرأيهِ. فيا ليت الفعلة يفتحون

عيونهم ويعرفون اعداءهم الحقيقيين الذين يريدون ان يتخذوهم كواطئ لاقدامهم يرقون فوقها ادراكاً لمآربهم الشخصية ل.ش

نفحات الوردتين

للشقيقين المرحومتين انيسة وعفيفة الخوري الشرتوني

طبع بالمطبعة اللبنانية (جسر بيروت) لبنان سنة ١٩٠٩ (ص ١٠١)

يقول العرب من اشبه أباه ما ظلم. وفي هذه الآثار الباقية من قلم الكاتبتين الاديبتين انيسة وعفيفة كريمتي الشيخ الفاضل سعيد الخوري الشرتوني ما يزيد المثل صدقاً وفيه لجناب والدهما اوفى تعزية بعدهما فكأنهُ حفظهُ الله نفث في قلم ابنتيهِ طِلسمتهُ الكتابية وكأنَّ الشقيقتين البارعتين قد اقتصتا آثار علَّة وجودهما فاحيتا بكتاباتهما انشاءهُ وبلاغتهُ ومثَّلتا اتمَّ التمثيل تعابيرهُ وافكارهُ فتقول انهما هو او انهُ هما

وهل يُنبت الخطيَّ الَّا وشيجهُ وتُغرَسُ الَّا في منابتها النخلُ

فنطلب الى الله ان يخمد لوعات الاب الاسيف على فقد كريمتيهِ وان تكون بقايا قلمهما كمرآة حيَّة يجد فيها صورتهُ فتنعش في فكرهِ سجاياهما الطيِّبة ابقاهُ الله بعدهما زمناً طويلاً سنداً للآداب ل.ش

التاريخ الكنسي

تأليف نجيب افندي ماحم المشلاني

طبع في بيروت في مطبعة الاتحاد سنة ١٩٠٩ (ص ٢٤٢)

تعدَّدت الاختصارات الحسنة للتاريخ الكنسي الكاثوليكي افادةً لاحداث المدارس فقد طُبع منها في بيروت والموصل واورشليم ما اختلف طولاً واسلوباً. وهذا المختصر الجديد يستحق ايضاً اعتبار ارباب المدارس فانَّ صاحبهُ الاديب وضعهُ على طريقة الاسئلة والاجوبة القصيرة القريبة المنال السَّهلة المعاني وطبعهُ باذن الرؤساء الروحيين لافادة تلامذة المدارس الشرقيَّة الابتدائيَّة وهو يوافقهم لصغر حجمهِ وعوادة سعرهِ وحُسن مضامينهِ. على انَّ هذه الطبعة تحتاج الى اصلاحات عديدة. منها مادِّيَّة كاتقان الطبع وضبط اسماء الاعلام واصلاح الاغلاط الطبعيَّة المتعدِّدة ومنها صوريَّة كالتدقيق في بعض الاخبار واعادة النظر في بعض الروايات ولعلَّهُ اخذ عن مختصرات

افرنجيّة غير محكمة ولو اردنا تفصيل هذه الشوائب لا تّسع بنا المجال. فليس قولهُ سديدًا في الصفحة ٦ انهُ بسجود الرعاة للمسيح في مهدهِ « تألفت جماعة المومنين » — انّ الذي خلّصهُ ملاك الربّ من السجن ليس هو يوحنّا بل القديس بطرس هامة الرسل (ص ٢٠) — لم يحرم القديس غريغوريوس الاساقفةَ لقبولهم اجمالًا الرتب من الملوك بل لقبولهم تقليد الرُّتب الكهنوتيّة والسلطة الروحيّة (ص ١٣٦) — ليس ميخائيل كرولاريوس اوّل من انتحل اسم البطريرك المسكوني بل جرى ذلك قبلهُ بخمسة اجيال (ص ١٣٢) — قولهُ (ص ١٧٦) « ارطقة المغرب » يُصحّح بشقّاق المغرب — ليس بصحيح ان يُقال (ص ٢١٠) انّ المسيحيين في اليابان قُتلوا كلّهم « حتى لم يَبْقَ ولا واحد منهم هناك ». فانّ المرسلين في السنة ١٨٦٢ اكتشفوا بعد مائتي سنة نحو ثلاثين الفًا من المسيحيين الذين حافظوا على وديعة الايمان ابًا عن جدّ. — وما معنى قولهِ (ص ١٧٨): « على اي شيء اقتدى جان هيس » لعلّهُ يريد « على اي شيء افترى ». ومن نقائص هذا المختصر انهُ لا يتمّم اخبار الكنيسة الى زماننا بل ينتهي في زمن نابوليون الاوّل. وكذلك سكت عن تاريخ الكنائس الشرقيّة بعد المجمع الفلورنتيّ. فانْ شاء الله تُصلح كل هذه الاغلاط في طبعة جديدة ل. ش

الدرُّ المنتخب من كتب الأدب

جزءان عُني بجمعهما جناب الاديب يوسف افندي صفير صاحب مكتبة المدارس

طبع في بيروت ١٩٠٨–١٩٠٩ ص ٩٦ و ١١٢

هذا المجموع من افضل ما وُضع لفائدة المدارس العربيّة الابتدائيّة بعد اتقان التلامذة لاصول اللغة فانّ كل جزء منهُ يشتمل على عدّة فصول ضمّنها جامعها الاديب نُبذًا حسنة في آداب الاخلاق وواجبات الانسان نحو خالقهِ وقريبه ونفسهِ ثم طرفًا من حِكم الادباء واقوالهم في الفضائل والنقائص يليها امثال عن السنة الحيوانات وقصائد منتخبة من اقوال الشعراء لاسيما المحدثين. وزاد في الثاني منها فصولًا تهذيبيّة ولطائف ونوادر ومقالات في وصف بعض البلاد وفي تاريخ سوريّة وجغرافيتها وكل ذلك مضبوط بالشكل الكامل. فنتمنّى لهذا المجموع الرواجَ التامّ فيُعاد طبعهُ وتُزاد محاسنهُ الطبيّة وتُصلح بعض الاغلاط الواقعة في تشكيلهِ نحو (ص ١ من الجزء الثاني)

« رئاسة » لا « رياسة » و « صِدق » . لا « صُدق » (ص ١) « اللُطف » لا « اللُطف » . (ص ٥) « إحناء . . اكثارَ » لا « أحناء . . إكثارُ » و « الجُمَل » لا « الجُمّل » وهلمّ جرًّا ل . ش

تقويم الارض المقدّسة لسنة ١٩١٠

اهدتنا مطبعة الاباء الفرنسيين في القدس الشريف الرزنامة التي اصدرتها لسنة ١٩١٠ فالفيناها كاخواتها جامعة للفوائد الكثيرة في التاريخ الغربي والشرقي والقبطي والهجري واليهودي مع ما يلحق بكل من هذه التواريخ من الاعياد المختصّة بالطوائف وساعات شروق الشمس وغروبها والرزنامة مطبوعة بحرف جلي في اللغتين العربيّة والافرنسيّة وقد أُضيف في ذيل الصفحات تاريخ موجز لنهر الاردن وضواحيه . فنشكر للمطبعة هديتها ونحثّ القراء على اقتناء الرزنامة ا . ر

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ ترجمة اسرائيل زانغويل احد الكتبة العصريين ومؤلف عدّة روايات تاريخيّة في وصف اليهود واحوالهم وعاداتهم ISRAEL ZANGWILL par André Spire

٢ نادي التعاضد في حلب وقوانينهُ بالعربيّة والفرنسويّة

٣ برنامج جمعيّة الاعمال الخيريّة الاسلاميّة لسنتها الاولى ١٣٢٩ (ص ٢٤)

٤ قانون الجمعيّة الخيريّة البشراويّة لسنتها الثالثة (ص ١٣)

٥ قواعد الخطوط العربيّة على الاسلوب الجديد الذي وضعهُ الخطّاط الشهير ملّام افندي حنّا ملّام وهي منحصرة في سبعة دفاتر تُطلب من يوسف افندي صفير صاحب مكتبة المدارس في بيروت . مطبعة التوفيق لنسيب صعبا

٦ الطريقة الوفيّة في تعليم الخطوط العربيّة . تعليم الخطّ الرقعي . الدفتر ١ للسنة الاولى الابتدائيّة (ص ٣٤) طبع في مطبعتنا الكاثوليكيّة سنة ١٩١٠

٧ الماسونيّة . نقلًا عن جريدة البشير في المطبعة الكاثوليكيّة ١٩٠٩ (ص ١٨)

٨ السرّ المصون في شيعة الفرمسون وهو نظر تاريخي ادبي اجتماعي بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي . يحتوي على المقالات التي نشرناها تباعًا في المشرق . الكرّاسة الاولى (ص ٢٦) . طبع في المطبعة الكاثوليكيّة ١٩١٠

٩ قانون اخوية الاقنى المطهرية المارونية اللبنانية . بمطبعة الاجتهاد سنة ١٩٠٩ (ص ٤٨)

شذرات

خطرات نسيم هذا عنوان شذرة وردت في جريدة « الحرّية » منطوقها :

الاب لويس شيخو انشط عامل جلس الى مائدة كتابة في سوريا . ليس في هذا انهُ بعيد دائمًا . نصبَهُ الجزويت هَدَفًا لكلّ سهم فهو يقبلهم بصدرهِ ويدفع عنهم دفاع الدرع عن لابسها فاذا أمن الهجوم عليهم هاجم اعداءهم وفي بعض الاحيان لا يفرق بين العدو والصديق . مثل هذا المخادم المستميت نتمنّى للمبادئ الشريفة

نشكر اوّلًا للرصيفة حُسن ظنّها بنا فانّا النشاط ليس هو من خواصّنا وقد عُرف بهِ السوريّون عمومًا وما نحن الّا فرد من افرادهم — امّا قولها « بانّا لا نجيد دائمًا » فهذا ممكن بل قريب من الصحّة فمن يا تُرى يُجيد دائمًا في كل ما يصنع اللهمّ الّا ربّ الكمال الذي مرّ على الارض عاملًا بكل خير والذي وحدهُ استحقّ هذا المديح (مرقس ٧ : ٣٧) : « لقد احسن في كل ما صنع » . امّا نحن فغاية ما نتمنّى ان نسمى طاقتنا بالاجادة ثم تقرّ بخطايانا الكثير — ثم قال « ان الجزويت نصبوا هدفًا لكلّ سهم لنقيهم بصدرنا » . وهو قول عارٍ من الصحّة لأنّ « الجزويت » لا يحتاجون الى دفاع فانّ سيرتهم تقيهم سهام اعدائهم فلا يتسترون كالماسون ليحجبوا عن اعين الناس اعمالهم ومهما شنّع عليهم هؤلاء الاعداء فلا يستطيعون ان يبخسوا من قدرهم . وقد طالما هدّدنا الماسون بطبع اليهوديّ التائه وتعاليم الجزويت السرّيّة فطبعوهما واطلع الجميع على بطلان هذه الخرافات الصبيانيّة ولا يزال الجزويت مكرّمين من اهل الفضل — ثمّ قال « انّا اذا امنّا الهجوم هاجمنا » فليعلم الكاتب وكل الماسون انّ اليسوعيين لم يتعرّضوا لمهاجمة احد ما لم يروهُ يتحامل على كنيسة المسيح فانهم كما قال يستميتون في سبيل الدين اذ لهُ وحدهُ المبادئ الشريفة التي لاجلها ضحّى نفوسهم الوف الالوف من البشر . اما المبادي الماسونيّة فهي والشرف على طرفي نقيض ولذلك لا يستميت احدٌ لاجلها . وحتى اليوم لم نعرف شهيدًا واحدًا مات لصيانة تلك المبادي الوخيمة التي بيّنّا في مقالاتنا سوء مصيرها والسلام

عود على مثلث قطرب كتب الينا جناب الصيدليّ الفاضل

مراد افندي بارودي نبذة ثانية تحت هذا العنوان مثبتاً صحّة ما ارتاب فيه حضرة الاب انطون صالحاني بخصوص اسم الامام قطرب وكنيته فبيّن انّ ما روي في النسخة التي لديه من هذه المثلّثات لقدمها واتقان ناسخها محمّد بن محمّد طرخان الفارابيّ أجدر من سواها بتعريف اسم ذلك اللغويّ وكنيته . فنشكر مكاتبنا على هذه الافادة ونستميحهُ عذرًا من اضرابنا عن نشر مقالته لتوفّر الموادّ علينا في هذا العدد

روضة الاذهان وفاكهة الجنان هي قصيدة نظمها حضرة الخوري يوحنّا شلهوب استاذ العربيّة في مدرسة الفرير في يافا في مديح القديس انطونيوس ابي الرهبان بمناسبة عيده لم يسمح ضيق المجلّة عن نشرها واوّلها :

لله درُّك يا ابا الرهبان ما احلى كلامك في الكمال واجملا
وهجرتَ ارضَ ابيك والاهل وما ملكت يداك وكلّ شيءٍ قد غلا

ومنها: وسكنتَ برًّا مقفرًا متهجّدًا مترهّدًا متخشّعًا متبتّلا
وغرست بزر الطهر في قلب الورى وبنيتَ اديارًا فكانت مَعقلا
أمّت رحابُك واقتفت آثارك م الغرّاء اقوامٌ يؤمّون العلا
ضاهوا ملائكة السماء طهارةً وبرارةً وقداسةً وتبتّلا
يتفاخرون بحبّ مولاهم ولم تخدعهم الدنيا بُزخرُفها ولا . . .

وختمها بقوله:

وافتح لنا باب السماء مشفّعًا فينا وخذ بيمينا كي ندخلا

فسيفساء كنائس سالونيك باشر المكتب الروسيّ في الاستانة حفريّات على نفقته في سالونيك سنتي ١٩٠٧ و ١٩٠٨ فتوفّق الى اكتشاف عدة آثار من الفسيفساء في كنائس قديمة استولى عليها الاتراك فخربت منذ الفتح التركي كبيعة مار دمتريوس وبيعة ايا صوفيا وبيعة مار جرجس . وفسيفساء كنيسة مار دمتريوس اجمل هذه النقوش الصناعية واقدمها فانّها ترتقي الى ما وراء القرن السابع وان رُمّم بعضها وجُدّد بعد ان أُصيبت الكنيسة بحريق في ذلك العهد . وهذه الفسيفساء كانت مشوّهة بالكلس الذي طرشهُ بها الغُزاة بعد الفتح . فنُظّفت وغُسلت وعاد اليها بهاؤها القديم وهي تمثّل البتول السيّدة والقديس ديمتريوس وتصاوير اخرى بالوان زاهية وذهب وفضّة بصناعة تأخذ بالابصار وقد استعمل النقاشون لعملهم مربّعات صغيرة من الحجارة وهي غاية في الدقّة لتمثيل تقاطيع الوجه

اسئلة واجوبة

س سأل من رومية الشماس حبيب جرجس اسطفان من هو اوّل من ذكر حريق مكتبة الاسكندرية على يد عمرو بن العاص

حريق مكتبة الاسكندرية

ج كان البعض يزعمون انّ اوّل من ذكر هذا الامر الجَلَل ابو الفرج غريغوريوس المعروف بابن العبريّ في تاريخه مختصر الدول (ص١٧٦) فنسبوهُ الى التعصُّب في روايته والصواب انّ ابن العبري نقل ذلك عن مؤرّخ مسلم سبقهُ وهو الوزير جمال الدين علي الشهير بابن القبطيّ المتوفّى سنة ٦٢٤ هـ (١٢٢٧ م) روى الامر في كتابه تاريخ الحكماء (ed. Lippert , ٣٤٤) واقدم من ابن العبري عهدًا كاتب آخر ذائع الشهرة روى الحادث عنهُ اعني به عبد اللطيف البغدادي المتوفّى سنة ٦٢٩ هـ (١٢٣٢ م) في الفصل الرابع من قسم الاوّل من كتابه المنون بالافادة والاعتبار في الامور المشاهدة بارض مصر (ص ٢٨ من طبعة مصر سنة ١٢٨٦) . اطلب ايضًا المشرق (٢ : ٦٧٠)

س وسأل من مصر احد قرّاء المقتطف: ما رأينا في صحّة ما ورد في المقتطف (ص ٧١٨) تمُّوز من السنة المنصرمة ما حرفهُ:

(اصل المسابح) . يظهر من البحث في تاريخ المسابح واستعمالها في عدّ الصلوات انّ اصلها هندي اقتبسها البوذيّون من الهنود ثم المسلمون ونقلها الصليبيُّون الى اوربّا لمّا عادوا من سوريا في القرن الثاني عشر فانّ الكنيسة الرومانيّة تنسب اوّل استعمالها الى القديس دومنيك (١١٧٠ – ١١٢١)

اصل المسابح

ج ان صاحب المقتطف قد حكم في هذه المسألة كمألوف عادته في المسائل الدينيّة التي يجهلها اعني انهُ يرمي الكلام على عواهنه. من المحتمل انّ يكون اتخاذ المسابح لما للصب بحبوبها واما تلاوة بعض الادعية كتكرار الاسماء الحسنى وغير ذلك قديم جدًّا سبق اليه الهنود والمسلمون. اما المسبحة التي يألفها الكاثوليك فلا علاقة لها مع تلك السُّبحات فانّ صورتها ولقسام صلواتها على ترتيب معلوم مع ذكر اسرار حياة السيّد المسيح ووالدته الطاهرة من افراح واحزان وامجاد فكلّ ذلك لم يسبق الى اختراعه احد قبل القديس دومنيك

ل. ش